أثر حال

الطبعة 2

رواية

مُحمَد رَجَبُ

عصير الكتب للنشر والتوزيع



الرحّال



الكتـــــاب: الرخـــــال

المـــؤلـــــف: محمد رجب

تدقيق لغوي: عبدالله أسامة

تصميم الغلاف: عبدالرحمن حافظ

تنسيـق داخلي: سمر محمد

رقــم الإيـداع: 2016 / 25960

978-977-6541-19-1 :I.S.B.N

المدير العام: محمد شوقي

مدير النشر: أحمد حمدي

مدير التوزيع: عمر عباس

01150636428

لمراسلة الدار Email: P.bookjuice@yahoo.com

الرحّال

رواية

محمد رجب



مشيناهَا خطًى كُتبتْ علينَا

ومن كُتبتْ عليه خطًى مَشاهَا

ومنْ كانتْ منيّتُه بأرضٍ

فليسَ يموتُ في أرضٍ سواهَا

عبد العزيز الدريني

(١)

وقف ذلك الشاب مصدومًا بعد تصريحه ذلك.. لم يعلم هل يفرح بشجاعته وأنه قد أخبرها بما طالت به مناجاته مع نفسه؟ أم سيندم على ما فعله؟ استرجع الحديث مرات ومرات نادمًا لأنه قال كذا بدلًا من كذا. لماذا لم يقل ما حفظه وأعاده في نفسه مئات المرات لمثل هذه اللحظة؟ كان ذلك قبل أن يعيده رنين هاتفه إلى عالمنا مرة أخرى. وقد كانت المكالمة من هاتف جده كما ظهر على هاتف الشاب. ولكن لم يكن جده المتحدث. لقد كان الشيخ محمد أشرف جاره، يخبره بأن جده نُقل إلى المستشفى بعد أن ساءت حالته في المنزل مرة أخرى.. لم يكن يعي أن هذه هي المرة الأخيرة.

وصل الشاب إلى المستشفى ولأنها ليست المرة الأولى فهو يعلم من سيسأل، وكيف سيصل.. ولم تمر دقيقتان وكان أمام جده، أو ما تبقى منه. كان عجوزًا، عجوزًا بحق. يخمن سنه من يراه ــ إن استطاع ــ أنه قد جاوز القرن بعقود. لا يوجد منطقة في وجهه الأسمر إلا وقد

غطتها التجاعيد إلى أن غابت ملامحه وسطها. وبرغم استلقائه ظهرت انحناءة ظهره لتجعله أقصر طولًا. ولكن وسط هذا نظرة واحدة لعينيه السوداوين تنبهك ليقظة ذهنه وأنه واعٍ لما يحدث حوله، وكأنه يدّعي شيخوخته.

ظهرت على وجهه ابتسامة عندما رأي حفيده يقف أمامه، وقد اكفهر وجهه من منظره، فقد رآه أكثر من مرة في نفس الموضع ولكن لم تكن حالته بذلك السوء. كان حفيده طويل القامة، أسمر البشرة بدرجة خفيفة ذو ملامح عادية.. فأنفه متوسط الطول ولكنه مرتفع قليلًا ليعطيه تلك الضحكة المميزة. كان وجهه دائريًا معتادًا يعطيك شعورًا بالألفة إذا صادفته. شعره ناعم أسود، بدأ غزو الشيب فيه مُبكرًا، فظهرت بعض الخصلات متمردة بالأبيض. تصنّع المرح في صوته وهو يخاطب جده:

- لقد عدت مجددًا لنفس المستشفى من أجل الممرضة أليس كذلك؟

ضحك جده قليلًا وقال بصوت مبحوح عندما وهنت ضحكته:

- هل أخبرتها؟

- من؟

- درة.. هل أخبرتها؟

- أخبرتها وتركتني وغادرت.. هل سنذهب للمنزل أم ستبيت الليلة؟

همهم جده بكلمة "جيد" أكثر من مرة، حتى كرر الشاب السؤال عن ذهابهم للمنزل. دارت بعدها عينا الجد في الغرفة كأنه يتأكد من خلوها، ثم نظر مباشرة لعيني الشاب، تلك النظرة التي يعلم الشاب أن ما سيقال بعدها يتطلب التركيز.

- اسمع، أظن أنني لن أرجع إلى المنزل، على الأقل حيًا..

- ماذا تقول؟

- لا تقاطعني. ما سأقوله لك هو ما ستعيش به الباقي من عمرك. وأعدك أنه لن يخلو من المغامرة.

همّ منصور أن يقول شيئًا ليوقفه جده بإشارة من يده:

- قلت لك لا تقاطعني.. لا يوجد وقت لذلك. هل تعلم كم عمري؟ هل تعلم كم عشت؟ لا داعي لأن أصدمك ولكنني قانع بما أخذت من الدنيا. لقد قابلت أناسًا لم يقابلهم أحد من الأحياء الآن، شهدت أحداثًا وتواريخ لن تصدقها. إن اسم الرحّال لم

يكن اسمًا لعائلتنا اعتباطًا. بالطبع مع كثرة ما مررت من اختبارات قمت بأخطاء في لحظات غضب ندمت عليها سنوات طوال.. وأنقذت أناسًا لم يقف بينهم وبين الموت غيري. دع ذلك الحديث الآن، كل ما يهم هو كيف مات أبوك؟ ماتت أمك وأنت رضيع هذا كل ما تعرفه، ولكن لا تعلم كيف مات أبوك. بين ليلة وضحاها اختفى أبوك وجئت أنا من البلد لأرعاك وأنت ابن العاشرة، حسنًا لم تكن ليلة واحدة، كانت بضعة أشهر حتى أقنعت خالتك بأنني الأحق بك، لأنني أحتاجك لتؤنس وحدتي وتساعدني في المكتبة ولتقف بجوار سريري في مثل يومنا هذا، وقد ضمنت هي بذلك أنني أحتاجك أكثر مما تحتاجني وبالتالي سأحسن معاملتك رغمًا عني. أظن أن الوقت لن يسمح لأشرح.. ستعرف بنفسك. ولكن يجب أن أسألك سؤالًا: هل أنت مستعد؟

لقد كان الشاب محقًا، لقد تطلّب هذا الخطاب التركيز بالفعل. ولكنه لم يفهم سوى أن جده يشعر باقتراب أجله. بالطبع قاطعه عدة مرات ليقنعه بأنه لن يموت، وأنهم سيذهبون سويًا للمنزل، سالت بعض الدموع، وأومأ بعض الإيماءات ولكن عندما باغته جده بسؤاله هذا، توقف قليلًا ليسأل نفسه هل يقصد أن ميتة أبي قاسية وهل أنا مستعد

لتلقيها؟ أم أن أبي قد مات ميتة غير شريفة، معدومًا مثلًا؟ ولكنه رد بلا وعي: مستعد لماذا؟

ولكن عندما رفع رأسه، وجد جده قد أغمض عينيه، واستكان جسده وهو ينظر له مبتسمًا. ووشم الشمس على جانب رقبته قد بدا وكأنه يبتسم أيضًا.

****



(٢)

وكعادة الناس عندما يصطدمون بأكبر مخاوفهم، يتحطمون. ثم يبدأون بمحاولة جمع الأجزاء الكبيرة منهم، فلا تجد ما يدعمها فتتحطم هي الأخرى. فيبدأون بالبحث عما يعوضّهم عن الأجزاء الكبيرة تلك. لذلك تجد من انغمس في هواية، ومن مارس رياضة، وحتى من لازم الخمر. معظم العباقرة كونتهم تلك الصدمة. ثم يدعموها بأجزاء صغيرة، كالأمل وبعض الذكريات كي لا تتحطم في المستقبل.

وموت الرحّال جد منصور سليم ــ وهو اسم الشاب ــ كان أكبر مخاوفه. فقد كان خليطًا من أنيسه وصديقه ووالديه معًا. عوضّه عن غياب أبيه في الأزمات، وقام بخدمته ورعايته نيابة عن أمه. وكان أنيسه وأمين أسراره عندما احتاج ذلك. وبعد موته تحطم منصور. رسب في ثلاث مواد، انعزل عن كل شيء. لم يعمل ــ بالرغم من تفرغه طوال الفصل الدراسي بعد رسوبه ــ واكتفى ببيع العملات القديمة التي جمعها جده وخبأها في خزانة صغيرة مخفية داخل درج

بأعلى المكتبة في المترل. وقد شرح له قيمتها المادية قبل وفاته بأسابيع، وأن عملة واحدة من تلك ذات الجملين في خلفيتها تساوي آلافًا اليوم. وأنها ستعينه على تزويجه عندما يحين الوقت.

بعد عدة محاولات من منصور كي يلملم شتات نفسه، انغمس أخيرًا في شيء. انغمس في درة. فقد عملت ظروف منصور الأخيرة على تقريب درة، فبدأت بالسؤال، ثم طالت المحادثة قليلًا في المرة الثانية، وطالت أكثر في المرة الثالثة، حتى أصبحت الرابعة متصلة بالخامسة والسادسة. أصبحت حياتهما محادثة طويلة لا تنقطع. لا يتركان الهاتف، سواء كمكالمة، أو كمحادثة على الإنترنت. أيًا كان، تنتظر الآن تخرّجه ليتقدم لخطبتها.

وبعد مدة ومع بداية عام ألفين وستة عشر قرر منصور أن يطور من نفسه للأفضل ـــ بالطبع كان الفضل الأكبر في ذلك لدرة ـــ حيث عزم على فعل الكثير، لم يحقق معظمه صراحة ولكن ما حققه قد كفى. فزاد اهتمامه بمذاكرته أكثر حتى قبل بداية الفصل الدراسي. وقرر فتح مكتبة جده مرة أخرى. كان دافعه الأكبر في كل ما فعل يتعلق بدرة بطريقة ما؛ يجب أن يتخرج بسرعة فدرة لن تنتظر إلى الأبد بعد تخرجها. ويجب أن يثبت لها ـــ ولنفسه ـــ أنه يستطيع أن يدير مكتبة جده.

بالفعل فتح منصور مكتبة جده مرة أخرى. لأول مرة يجلس خلف المكتب المتهالك بدلًا من جده فقد منعه جده مرارًا من ذلك حتى توقف عن المحاولة. جلس على كرسيه يتذكره. كيف كانت ابتسامته وسط وجهه التى غمرته التجاعيد، وكيف كانت مشيته المتمايلة مرتكزًا على عكازه بيده اليسرى، ويده اليمنى مرفوعة أغلب الوقت ترسل السلام لأهل المنطقة، تذكره وتذكر كيف أحب تلك المكتبة وقطع على نفسه وعدًا غير منطوق بأنه سيجعلها أفضل. ولكنه تفاجأ بالمبلغ المتراكم عليها. فنتيجة غلقها تلك الفترة، تراكم عليه إيجار الشهور الماضية، وكذلك دفعات مُستحقة لدور النشر وموردي الكتب للمكتبة. واستطاع منصور في أسبوع واحد أن يكسب رضا الجميع ويستعيد ثقتهم، بسبب ذكائه الشديد بالطبع.. وبعض الجنيهات ذات الجملين. وكذلك بدأ منصور في تجديد شامل للمكتبة، بداية من نظام العرض إلى استبدال الأرفف بأخرى جديدة تناسب الشباب أكثر، لا مانع من لوحة إعلانية مضيئة وبعض اللمسات في الإضاءة.

❊❊❊❊

أصبح منصور بعدها يقضي أغلب يومه في المكتبة. يقرأ أحيانًا، يذاكر أحيانًا، ويتحدث مع درة في باقي الأحايين. ولأن درة كما أسلفنا تجعل الأمور أبسط، لم توافق على أن تتحدث معه دون اتفاق رسمي. فوعد الخطوبة وحده ليس كافيًا لأن يتحدثا بهذا الكم، ولما أحس منصور منها ذلك أخذ ميعاد من أبيها وأصبح هناك مسمى.. الخطوبة في الطريق بعد أن يتخرج. كانت علاقتهما قائمة على المزاح الذي يحمل في طياته سنتزوج يومًا ما دون تصريح. فعلى سبيل المثال جلس منصور رابع يوم بعد تجديده للمكتبة يقرأ جريدة قديمة وجدها على المكتب عندما أعاد فتح المكتبة ولم يتخلص منها، وقعت عينه على إعلان لشقة في فيصل سعرها ستمائة ألف على الرغم من مساحتها التي لم تتجاوز أربعة وخمسين مترًا مربعًا كما وصفها البائع. التقط صورة للإعلان بهاتفه وأرسلها لدرة على الإنترنت معقبًا على أنه مليونير لأن مساحة شقته مئة وأربعون مترًا، وأن والدها سيسر كثيرًا بتلك المعلومة.

تعامل مع المكتب بحرص بالغ، فهو متداعي ينتظر خطأ واحدًا كي يسقط ومنصور مجبر على عدم استبداله لأن جده أوصاه بذلك. ولكن من الواضح أنه لم يتعامل بالحرص الكافي.. فبعد أن أرسل الصورة لدرة وألقى الهاتف كعادته، وقع الهاتف في الدرج المفتوح والذي

سقط.. نعم سقط الدرج كله بسبب هاتف خفيف. نظر إليه بحسرة ليجد في آخره طبقتين من الخشب بدلًا من واحدة. استنتج من ذلك أن في نهايته خزينة صغيرة غير مرئية إلا بعد إزالة خشب الدرج الرئيسي. عرف ذلك لأنها تشبه الموجودة عنده بالمنزل والتي خبأ فيها العملات القديمة. وبالفعل كسرّ خشب الدرج ليظهر ذلك التجويف، ولكنه أكبر من ذلك الموجود في منزله. بدأ التفتيش في الفجوة ليجد بضعة أشياء بسيطة ولكنها كافية لقلب الباقي من حياته.

وجد منصور في الدرج ظرفًا فيه ورقة وبعض الصور وقنينتين ممتلئتين كتلك التى تجدها عند العطار وقد امتلأ نصفهما بالزيت. ولكن حجمهما أصغر قليلًا، يتهادى فيهما سائل أسود اللون. أمسك منصور الصور وهو لا يستوعب ما بهما. أول ما طرأ له أن الأمر يتعلق بموت أبيه، فهذه خطة احتياطية إذا لم يلحق جده أن يصف له. قلبّ منصور الصور متفحصًا. وكانت الصورة الأولى لصخرة صفراء تقف كبوابة وسط صحراء، كان متأكدًا من أنه قد قابلها في زمن ما، هو يعرفها بل مرتبط بها ويحبها ولكنه لا يتذكر، فقط قفز من أعماق ذاكرته إحساس بالألفة. والثانية كانت صورة غير واضحة لطرق متقاطعة تأخذ انطباعًا أوليًا عند النظر إليها أنها مهبط طائرات. ولم تأخذ من منصور اهتمامًا كبيرًا لأنه لم يفهمها، أما الثالثة فقد عرفها

منصور على الفور بمجرد ما وقعت عينيه عليها. لقد كانت صورة للوحة بها عدد كبير من النقوشات القديمة، لا تظهر أيًا من هذه النقوشات بالتحديد وإنما صورة عامة للوحة. ترك منصور الظرف وأخذ يتجول في المكتبة يبحث عن شيء بعينه لا يذكره جيدًا. حتى وقعت يده على كتاب "الذين هبطوا من السماء" لأنيس منصور. نظر فيه نظرة سريعة ليتأكد من أنه الكتاب المنشود، بعدما تأكد رجع ليقرأ الورقة ويفهم. يعلم أن جده سيشرح له كيف مات أبوه، ولكن ما علاقة هذه الصور به؟ لقد كانت معظم القصص التي علق منها آثار في ذاكرته عن الماورائيات، والأشياء التي تجعل عقل الإنسان يقف عاريًا أمامها برغم كل ما يرتدي من معرفة وتكنولوجيا وحضارة، هل كان جدي يحبها لهذه الدرجة؟ عندما أراد أن يترك لي شيئًا ترك تلك الصور؟ جاءه صوت عقله: "سنعلم إذا قرأنا الورقة".



(٣)

"بسم الله الرحمن الرحيم..

منصور.. أعلم أنني قد مت الآن، فما كنت لأتركك تجلس على مكتبي وتجد تلك الورقة لو كنت حيًا. بالطبع تعلم أن هذه الرسالة فقط لتتمم ما بقي.

لطالما سألتني عن أبيك، أين عاش وماذا فعل وكيف مات؟ ولطالما أجلت الإجابة.. أعلم أنك وثقت فيّ وقتها ووافقت على الانتظار. والآن حان الوقت. أرجو ألا تفقد الثقة فيّ نتيجة ما ستعلم.

دعني أحدثك في موضوع آخر، وفي نفس الوقت هو صلب الموضوع. هل تتذكر ما كنت أحكيه لك في الصغر؟ هل ذكرتك تلك الصور؟ هل تتذكر بوابة الشمس وساعة أثينا وهضبة تسيلي؟ أعلم أنك تذكرهم، فلقد زرعتهم فيك منذ الصغر.. والآن سأحدثك بتفسير ذلك.

باختصار.. لقد سافر البعض في الزمن.. تركوا ما تركوا في تلك الأزمنة وعادوا أو لم يعودوا ولكنهم قد تركوا البرهان.. ولكن ما يهم أن أناسًا عاشوا — أو يعيشون — في غير زمنهم. في القنينة يوجد مستقبلك وماضيك. هذه القنينة ورثها جدك عن أبيه الذي ورثها عن أبيه والذي ورثها عن أبيه.. يمكنني أن أكمل الورقة على نفس المنوال. فأنا لا أعرف أصلها أو تكوينها. فقط أعرف أن ميللي واحدًا يكفيك لتعود بالزمن ستة أشهر. ستكون موجودًا في زمن سابق بستة أشهر. ستكون موجودًا ولك التأثير المادي مثلهم، لو امتنع عنك الهواء ستختنق، لو سقطت من فوق بناية ستموت. ولكن لن يراك أحد، لن يسمعك أحد. ستكون شاهدًا عليهم فقط.

يمكنك بالطبع الكتابة، النحت، وتغيير الأحداث. ولكن لا تُفكر في أن تغير حدثًا متصلًا بك. فالدائرة يجب أن تكتمل. فلا يمكنك أن تمنع أباك من زواجه بأمك مثلًا مهما حاولت. القدر أقوى منك ومن السائل. ومن كل من حاولوا قبلك.

هل تريد أن تعلم كيف مات أبوك؟ اعرف بنفسك، سافر إلى يوم ٢٠٠٣/٣/٣٠ كان عمرك تسع سنوات وقتها. أنصحك بألا تحاول أن تقابل نفسك أو تقابلني، عدني بألا تحاول. ستتسبب في كارثة. أيضًا حاول ألا تُكثر من السفر وأن تستغل كل مرة أفضل استغلال،

فللأمر ضريبته. ولذلك لم أسافر أنا. وكذلك يجب أن يفصل بين السفر والآخر شهر واحد على الأقل وإلا لن يكون للمحلول أي مفعول.

شيء أخير، لم أخبر أباك عن السائل في تلك الفترة من حياته، فلا تحاول أن تقنعه بأنك ابنه وقد عدت من المُستقبل.

دعوت لك دائمًا ألا تخذل من وثقوا بك، وأبوك قد وضع ثقته كلها بك.. لعل الله يجعل لك من اسمك نصيبًا وينصرك.

إلى اللقاء في جنة الرحمن، ولا تنسني من دعائك.

استمتع بالمغامرة.

جدك وصديقك"

جلس في هدوء يناقض مئات الصراعات في عقله الآن، كيف نسافر؟ بل هل هذا معقول؟ أهي مزحة من جدي؟ حسنًا.. جدي يحب المزاح ولكنه يعلم أن أبي فوق كل المزاح عندي. ما السائل؟ ما تركيبته؟ وما الضريبة على استخدامه؟ كيف لن يراني أحد وفي نفس الوقت أستطيع التأثير؟

هناك تعبيرات استهلكت كثيرًا، استهلكت في الأفلام والروايات وعلى ألسنة الناس حتى فقدت معانيها التي كانت كبيرة في أول مرة قيلت فيها. ولكن بعض الظروف قد تطرأ على الإنسان فيجد نفسه يستخدم لفظًا أو تعبيرًا منها وهو يعلم أنها قد قيلت أول مرة في مثل ظروفه تلك. وفي تلك اللحظة يمكننا استخدام مئات منها، فمنصور "قد تجمد الدم في عروقه".. "غامت عيناه".. "شعر أنه يسقط في بئر من الأسئلة".. "فقد أعصابه". إن كنت مكانه لفهمت معنى تلك التعبيرات بعد أن أفقد استهلاك الناس لها معناها.

بعد وقت لا يعلمه منصور وبعد إعادة قراءة الرسالة لمرات لا يتذكر عددها.. وقراءة صفحات من كتاب "الذين هبطوا من السماء".. اتصل

منصور بدرة:

-يجب أن أراكِ في المكتبة خلال ساعة.. لماذا؟ لأنني لن أجن وحدي.

****

دخلت درة بعدها بوقت قصير، كانت خائفة فمنصور لم يطلب مقابلتها إلا في مرات قليلة وكانت بطريقة أفضل من تلك، ولما رأته ازداد خوفها، فقد كان واجمًا ممسكًا بيده ورقة، وبالأخرى بضع صور. رفع رأسه ببطء لما أحس بوجودها، وكالعادة جعل الخوف درة أجمل.

- ستجلسي أمام المكتب، وسأتحدث أنا لفترة قد تطول. لا تقاطعيني.. لا تسأليني.. وفي النهاية ستخبريني أنني لم أجن.

أومأت في صمت، لقد بدأت تشك في جنونه بالفعل. بينما أمسك هو كتاب "الذين هبطوا من السماء".

حسنًا.. هذا كتاب كتبه أنيس منصور كتحقيق علمي حول وجود كائنات فضائية وما إلى ذلك. اسم الكتاب: "الذين هبطوا من السماء". يوجد هناك ــ أشار بيده ناحية رف من الكتب ــ كتاب آخر لأنيس منصور أيضًا اسمه: "الذين عادوا إلى السماء".. لم أقرأه بعد ولكن سنتطرق إليه. سأقرأ عليكِ منه:

"وغير هذه الأدوات أشياء أخرى كثيرة موجودة في المتاحف تجعل من الضروري أن نفكر.. في متحف أثينا توجد ساعة عمرها ٥٥٠٠ سنة تحدد اليوم والساعة والدقيقة. وقد عثر عليها الصيادون سنة ١٩٥٥"

كادت درة أن تقول شيئًا وهو يقلب صفحات الكتاب بعصبية، لولا أن رآها ورفع إصبع السبابة أمام فمه في إشارة بألا تتحدث، فسكتت وقرأ هو:

"وبالفعل كان شيء ينتظره. كانت مدينة تايواناكو كلها. إنها أقدم مدينة في بوليفيا، على حدود بيرو وعلى هضبة عالية. وفي جنوب إحدى البحيرات الغريبة الشكل.. البحيرة لها هذا الاسم العجيب: تيتي كاكا.

وفي هذه المدينة التي أبيدت لم يبق غير شيء واحد: بوابة الشمس.

البوابة عادية ولكنها أكبر من كل النماذج التي لها في بعض متاحف أوروبا. ولكنها ليست كذلك إذا اقتربت منها، وإذا اقتربت أكثر ومعك عدسة مكبرة. أو التقطت صورًا ثم كبرت عشرات المرات. وهذا ما فعله الصحفي الفرنسي. فعندما عاد إلى باريس وجد رسومًا غريبة عجيبة. وجد سيدة بيضاء عارية.. أكثر من سيدة. وجد آلات ميكانيكة شديدة التعقيد.. إذا اقتربت منها وألصقت عينيك بها أمكنك أن ترى موتورات وأمكنك أن ترى نفاثات.. وأن ترى أطباقًا طائرة.. وأن تجد عددًا من رواد الفضاء..

من هم هؤلاء؟ من الذي أقام هذه البوابة؟ ولمن؟ ولماذا؟ وأين ذهبت المدينة؟ وكيف كانت؟ ومنذ متى؟".

رفع رأسه من الكتاب وهو ينظر لدرة ويتحسس في الكتاب صفحة أخرى قد وضع عندها فاصلًا.. وقبل أن تتكلم درة وصل إلى صفحته المنشودة فبدأ قراءة:

"غير أن أهم اللوحات التى اكتشفت في كل العالم حتى الآن هي لوحة (هضبة تسيلي) على حدود محافظة فزان الليبية. اللوحة حائطية طولها يساوي عرضها ٦٠٠ ياردة، اللوحة بها خمسة آلاف من الرسوم الصغيرة أو التكوينات الفنية.."

ثم أخذ يقرأ بصوت غير مسموع وكأنه يهمهم، تسمعه درة وهو يقول: "لا يهم، غير مهم، أين هي؟" حتى يقلب الصفحة ويقرأ:

"وفي هضبة تسيلي عثر هنري لوت على رسوم لضفادع بشرية. فهناك رسوم باهرة الألوان لرجال قد ارتدوا خوذات وارتدوا ملابس داكنة، أما الأيدي والأرجل فتشبه أطراف الضفادع، ولكي يؤكد الرسام أن هؤلاء ليسوا حيوانات وإنما هم بشر جعل الرأس عاريًا ورسم الوجه والفم والعينين والأذنين.. ثم جعل هذه الضفادع مغمورة إلى عنقها.

وعندما عاد هنري لوت إلى باريس ومعه صور فوتوغرافية لهذه اللوحات أعلن أحد علماء الآثار من السوربون أن تاريخ هذه الرسوم

يرجع إلى عشرين ألف سنة على الأقل، ولم يبعد هذا العالم عن الحقيقة إلا ثلاثة آلاف سنة تقريبًا. فلقد دلت التحليلات الكيميائية والذرية للأصباغ والألوان أن رسام هذه اللوحة قد عاش منذ سبعة عشر ألف سنة على الأقل".

ألقى بالكتاب على المكتب قائلًا:

- سبعة عشر ألف سنة على الأقل! هل تعلمي كم عمر بوابة الشمس ذات الرسومات الميكانيكية؟ خمسة عشر ألف سنة! هل تعرفي كيف حدث ذلك؟ كيف تنبأ أناس بما سيحدث ووصفوه بأفضل ما يمكنهم ضمن إمكانياتهم المُتاحة؟ ألم تسمعي عن تلك الصورة التي ظهر فيها رجل يضع على أذنه هاتفًا محمولًا ولم يكن قد تم اختراعه آن ذاك؟

- لا أفهم يا منصور.. هذه خوارق ولعلها أكاذيب فأنت تعلم ما قد يلفقه الناس من أجل..

قاطعها منصور بابتسامة، حسنًا.. أنا أعرف كيف حدث ذلك. فعل ذلك المسافرون بالزمن، لقد عادوا ومنهم من أسقط ساعة، ومنهم من نحت جدارًا. لقد عادوا وفعلوا كل ذلك. وأخرج لها رسالة جده وفردها أمامها، ووضع عليها قنينة السائل.. لقد فعلوها بهذا.

****

(٤)

لم أصف ما حدث بعد أن قرأت درة رسالة جده، لأنه كان متوقعًا. بالطبع صُدمت في البداية.. أخبرته ألا يستخدم ذلك السائل.. ذكرته بأنه لا يفصلهما عن الخِطبة سوى أشهر، خاصة بعد أن جلس مع والدها منذ شهر تقريبًا وأصبح الأمر شبه رسمي. وكذلك أصرّ على أنه لن يستطيع أن يحيا دون أن يعلم كيف مات أبوه.. الأمر ليس بتلك الخطورة.. ستُعقد الخِطبة وسيكون أسعد لأنه سيكون قد جمع بين ماضيه ومستقبله.

في اليوم التالي رنّ هاتف منصور، يعلم المُتصل قبل الاتصال.. إما درة أغلب الوقت أو خالته أحيانًا. كانت درة هذه المرة وما إن رد حتى جاءه صوتها باكيًا:

- لا تغادر.. لا تفعل بي ذلك.

لان صوته وهو يرد.. فهو يعلم أنها تعلم أنه لـن يستأنف حياتـه

دون أن يسافر.. وهي تعلم أنه يعلم أن الأمر ليس بتلك البساطة وقد يحدث له مكروه.. وهو يعلم أنها تعلم أنه يعلم أنها تعلم.. فما فائدة المكالمة إذًا؟

- أرجوكِ، لطالما كنتِ الصديق المُشجع والحبيب الحنون. ولطالما أعجبني أنك تجعلين الأمور أبسط.. تعرفين الفعل الصواب، ولا أحتاج لتوضيحه.. هل تريدينني أن أعيش هكذا؟ إن الغموض الذي يحيط ميتة أبي يعتصرني.

وافقت بعد مدة، أسبوع من الإقناع ولكن في هذا الأسبوع طرحت سؤالًا تغافل عن إجابته.. متى سيرجع؟ كيف سيرجع؟ أقنع نفسه بأن جده يخاف عليه من أي شيء.. وما كان ليتركه يضيع في الماضي. وعزم أمره على السفر يوم الجمعة.. لماذا الجمعة بالذات؟ لأنه اليوم الثلاثون من شهر مارس.. في مثل هذا اليوم من ثلاث عشرة سنة سيصل.

❊❊❊❊

يوم الجمعة..

اتصل منصور بدرة فوجد هاتفها مشغولًا.. حاول مرة أخرى، فهم بعدها أنها كانت تحاول الاتصال به في نفس الوقت. تحدثا دقائق قليلة، كانت تحاول أن تشجعه وهي خائفة فلا يخرج منها الكلام إلا دعاءً.

أغلق الهاتف.. وضعه على المنضدة مقابل السبورة التي علقها وحسب عليها كمية السائل المطلوبة.. كان من السهل حسابها. مطلوب السفر من يوم ٢٠١٦/٣/٣٠ إلى ٢٠٠٣/٣/٣٠ الفرق ثلاث عشرة سنة بالضبط. والميللي من السائل يوازي ستة أشهر. إذًا يحتاج ستة وعشرين ميللي. أخذهم بسرِنجة بالضبط وأفرغها في كوب ماء أمامه.. قال بسم الله وشرب الماء دفعة واحدة.. انتظر أن يحدث شيء.. لم يحدث شيئًا فقط ألمًا في حلقه انتقل إلى معدته، ليشعر به يسري في عروقه ويتشربه جسمه.. جرى في عروقه كحقنة زيتية ثقيلة.. ثم أغمض عينيه.

****

لا نعلم كم مر عليه الوقت نائمًا، ولكن حسب ساعتي فلقد نام ثلاث عشرة سنة للوراء. استيقظ دفعة واحدة ليجد نفسه نائمًا على ارتفاع بضع سنتيمترات من سقف أحد البنايات، ثم سقط عليه. جلس قليلًا لا يفهم ما حدث. هل انتقل إلى منطقة أخرى؟ وأين هي؟ ولكن بنظرة واحدة في الشارع فهم ما حدث. لقد رأى ذلك المسجد المقابل لمنزله.. إنه في منزله، ولكن في عام ألفين وثلاثة لم يتم بعد إنهاء الطابق الثالث الذي يقطن فيه في المستقبل من الآن. نحمد الله أنه سقط بضع سنتيمترات هي سُمك الأرضية فقط، لو أن الطابق الثالث لم يتم بناءه من الأساس لسقط من ارتفاع الدور الثالث إلى الدور الثاني دفعة واحدة.

نزل إلى الشارع الذي كان فارغًا تقريبًا.. لا يوجد سوى المسجد ومنزلين..أما باقي المنازل إما قيد الإنشاء أو لا تزال أرضًا في انتظار قرار جارهم المستقبلي ببنائها. سأل نفسه وهو يتجول في الشارع.. هل يُعد غريبًا بين الناس وإن كان يعرفهم فقط لأنهم لا يعرفونه؟ لم يفكر في إجابة لأن ارتباكه وهو يسير بينهم طغى عليه، فهو مبهور بما يرى.. يرى موتى في زمنه رجعوا شبابًا وأصدقائه الآن أطفالًا، وكلما استغرقه منظر يسترجع نفسه قبل أن يصطدم بأحدهم. يأخذ حذره كي لا تدهسه مركبة بغير علم من سائقها، أو يصطدم بأحدهم فيثير

في نفسه الذعر. حافظ على خطواته ثابتة في جانب الطريق، وتعمد أن يسير في المناطق التي تقع عليها الشمس، أو التي يكثر بها الوحل في الشارع.. فالطريق الأكثر ملائمة هو الأقل ازدحامًا. وصل بعد قليل إلى مقهى شعبي، وبائع الجرائد يبيعها لرواده، وقف قليلًا حتى وضعها أحدهم من يده على المنضدة وقرأ التاريخ وهمهم لنفسه: "يوم واحد في ثلاث عشرة سنة.. نسبة خطأ ممتازة" لقد كان اليوم التاسع والعشرون.. لقد وصل مبكرًا. لا يعلم هل ذلك لأن الكمية لم تكن مضبوطة بدقة متناهية، أم الاختلاف بين السنوات الكبيسة والبسيطة، أم عوامل أخرى لم تمر بذهنه في تلك اللحظة. ولكن لا يهم.. الآن لديه يوم راحة. سيذهب في البداية إلى الجريدة التي عمل بها أبوه، ويتبعه حتى المنزل ــ فهو لم يتذكر أين سكنا هو ووالده وقتها ــ ثم ليضيع الوقت في أي شيء. خطرت له فكرة أن يذهب لرؤية درة وهي طفلة.. ثم عدل عنها لأن جده طلب منه ألا يحتك بأشخاص لهم أثر في واقعه الذي أصبح مستقبله الآن. لقد حكى جده كثيرًا عن تلك الجريدة التي عمل بها والده، ولولا موته لكان من أكبر الصحفيين في مصر، لطالما ملأه الفخر بأبيه الذي لا يذكره إلا كصورة، وجده زرع فيه حب أبيه. سار منصور متنقلًا من منطقة لأخرى، سالكًا أطول الطرق ليرى المناطق متخيلًا كيف انتهت على ما رآه بعد ذلك

بثلاثة عشر عامًا.. تعجب مما رآه عاقدًا مقارنات مع المستقبل، ليصل لمقر الجريدة في وسط البلد. وقف أمام عمارة قديمة ونظر إلى اللافتة المعلقة في الطابق الثاني ومكتوب عليها بحروف كبيرة: "جريدة السبق" وتحتها بحروف أصغر: "السبق دائمًا للسبق". وجد المصعد وقد وقف عليه رجل ممسكًا بالباب منتظرًا زميله. انسل منصور معه على سبيل الكسل. بحث في الجريدة كثيرًا عن أبيه ولم يجده. سار مع تيار الموظفين حتى وصل إلى مكتب المدير.. وانتظر قليلًا حتى فُتح الباب وخرج أحد الموظفين، فانسل مرة أخرى قبل أن يُغلق وأصبح بالداخل. استدار ببطء وعيناه تجوب حائطًا مُزينًا بلوحات مرسومة وأحواض سمك، ليستقر نظره على مكتب فخم.. هو حقًا لا يعرف كثيرًا عن المكاتب ولكن ذلك المكتب فخم بلا شك. كبير الحجم، عظيم الارتفاع، خشبه ثقيل، مزين من الأركان الأربعة برأس تمساح خشبية تمتد للأسفل بحراشيف قليلة حتى تنساب في أحد أرجل المكتب. يتوسط واجهة المكتب لوحة نحاسية صغيرة مكتوب عليها:

أ/ إسلام أنور

رئيس مجلس الإدارة

ومن وراء المكتب جلس رجل على كرسي من ذلك النوع الذي يرتفع وينخفض حسب الحاجة موليًا ظهره لمنصور فلم يظهر منه سوى شعره الأشيب. تجاوزه منصور بنظره ليرى الواجهة الزجاجية للمكتب على الشارع، ويظهر فيها طرف اللافتة التي قد رآها من الشارع سابقًا. بعدها بثوانٍ استدار الرجل بالكرسي ووقف ملتقطًا بعض الورق لتُتاح الفرصة لمنصور ليتأمل الرجل الذي قد تجاوز الخمسين بقليل، ولكنه ما زال محتفظًا بصحته، عيناه ثاقبتان توحي بذكاء حاد وخبرة طويلة.

رفع إسلام سماعة الهاتف بحركة آلية قائلًا:

- أرسلوا سليم.. متى يصل.

لمعت عينا منصور، فها هو من طال البحث عنه لسنوات سيأتي إليه.. مرت عشر دقائق على الساعة المستطيلة المُعلقة في ركن الغرفة حتى وصل سليم. تأمله منصور ببطء قائلًا: أبي.

وجد منصور أباه في أواخر العشرينات، شاب طويل، أسمر مثل ابنه وجده، له نفس الشعر الناعم، ونفس العينين السوداوين. لقد كان نسخة من منصور بعد أن يكبر قليلًا، ونسخة من جد منصور لو صغر كثيرًا.

ابتسم إسلام له مشيرًا لأحد المقاعد:

- تفضل يا سليم.. هل أنجزت ذلك الأمر؟

- للأسف لم أفعل، فاليوم السبت وهو أجازة للبنوك كما تعلم. لذا أخذت الأموال معي وسأودعها غدًا. وكما أمرت.. مئتان وخمسون ألف جنيه في حساب المطابع والجريدة، وثلاثون ألف جنيه في حساب طليقة حضرتك.

- دائمًا ما تكون عند ثقتي يا سليم. أعلم أن ما تفعل هو خارج اختصاصك كصحفي، ولكنني لن أثق بأحد وآتمنه على أسراري الشخصية وحساباتي وحسابات الجريدة إلاك.

- تحت أمرك دائمًا.

- لا تحدثني بتلك الرسمية، أنا أعاملك كما كنت أعامل ابني ــ رحمه الله ــ سأخبرك سرًا لا يعرفه غيرك إلى الآن.

بدا على سليم اهتمام مصطنع، فهو يعلم أن أسراره لا تتجاوز أنه قد خالف الطبيب ودخن سيجارة الأمس، أو أنه حاول إصلاح أحد أعطال الكهرباء وحدثت كارثة.. أمور بسيطة لا ترقى لمرتبة الأسرار ولكنه لطالما دعاها أسرارًا ولطالما فرح سليم بمجالسته، فهو رجل مستقيم محب لعمله لا يقبل الرشاوي وما إلى ذلك، ولقد طال بسليم

الوقت وهو يتمنى أن يكون مثل ذلك الرجل بعد عشر سنوات.
أخرج إسلام من درج المكتب ملفًا يحتوي على أوراق وقصاصات جرائد.. فردها على المكتب وبدأ الكلام:

- كما تعلم لدينا ثلاثة مجرمين يشغلون الرأي العام الآن..

أولهم نطلق عليه الأعسر، لا نعلم عنه كثيرًا سوى أنه الوحيد منهم الذي يقبل قتل النساء والأطفال. أسلوبه غير مميز فهو قناص متوسط المستوى وأكثر من مرة يُخطيء الهدف.. أظنه شابًا صغيرًا وما زال يتعلم.. يستخدم بندقية مُعدة خصيصًا لمستخدمي اليد اليسرى.

والثاني – وهو أخطرهم من وجهة نظري – سماه الإعلام منذ ظهوره باسم الجراح.. أعلم كم يبدو سخيفًا ولكن هذا ما أطلقوه عليه. بالطبع هو أفضل من الأعسر ولا يخطيء تقريبًا. أسلوبه مميز جدًا فهو يقتل دائمًا من أماكن أعلى من مكان الضحية، ومن مسافات بعيدة، طلقة واحدة في القلب.. لا توجد بصمات، لا توجد فوارغ للرصاص، لا توجد أخطاء، هكذا يقتل.. ولكنه لا يقتل إلا بعد تحضير طويل.. لذا نجد عملياته متباعدة ومرتبة بدقة.

أما الثالث فاسمه "عبد الرحمن سمير". عُرِفَ إعلاميًا باسم "سمير". شخصيته ليست سرًا فالجميع يعرفه. فبعد عمليتين فقط اكتشفته الشرطة. شخص عادي لم تظهر عليه أي ميول إجرامية، تخرج من كلية الهندسة، وقضى خدمته في الجيش كضابط احتياطي. وبعدما أنهى فترة الخدمة تزوج ولكن سرعان ما انفصل عن زوجته. اختفى من منزله منذ سنتين ومن وقتها وهو من أشهر القتلة المأجورين. لا نعرف كيف يتواصل مع زبائنه ولا كيف ينفذ عملياته.. فهو يضرب ويختفي كأنه لم يوجد قط. مغرور وكثيرًا ما يُبلغ الضحايا قبل قتلهم. ويتميز أيضًا بسرعة وخفة مذهلتين، فعلى الرغم من أن القنص عادة يحتاج إلى دراسة الموقع جيدًا والتأني وما إلى ذلك من عوامل تجعل الأمر يطول عن وسائل القتل الأخرى، إلا أنه استطاع قتل ضحيتين في محافظتين مختلفتين في يوم واحد. متبعًا في ذلك كله نمطًا معينًا.. فهو يضرب رصاصة في ركبة الضحية اليسرى وبعدها بثوان يتبعها برصاصة في جانب الدماغ.. وعلى الرغم من إهماله وترك بصماته في المكان الذي قام بالقنص منه ــ بل إنه ترك مرة كوب الشاي الخاص به هناك ــ فإن الشرطة لا تستطيع أن تصل إليه لسنوات. كتبنا العديد من التحقيقات عنهم في الآونة الأخيرة.

استمع سليم كل ما قاله إسلام في صبر بينما استمعه منصور في دهشة. وقبل أن يُعقب سليم، استطرد إسلام:

- أعلم أن ذلك ليس سرًا لأنك كنت معي في معظم تلك التحقيقات.. أتعلم أين هو السر؟ السر أنني عرفت أحد تلك الشخصيات، عرفته وعرفت أين يسكن.. لقد أضعت من عمري سنوات أتتبعهم وأخيرًا نجحت.

- هل تقصد أننا سننشر ذلك؟ سيكون ذلك سبقًا بحق.

قالها الأخير متحمسًا، بينما استطرد معه إسلام في أحلامهما وأنها الخطوة الأكبر في تاريخ هذه الجريدة، وكيف سيستغلونها أفضل استغلال. بينما فكرّ منصور في نفسه ماذا يحدث؟ ذلك الأمر له علاقة بميتة أبي، ومن الواضح أن الموضوع مُعقد. ثلاثة قتلة مأجورين؟ إن جدي لم يخبرني كيف مات أبي لأنني ما كنت لأصدق تلك القصة. أخذ عقله في التساؤل حتى استشعرهما يغادران. تبعهما سريعًا ولكنه لم يستطع اللحاق بالمصعد، لم يحزن فالمسافة طابق واحد للأسفل ولكنه فهم لماذا يستخدمون المصعد.. فالسلم متكسر من أكثر من زاوية، مما جعل النزول عليه عملية صعبة تتوجب حساب كل خطوة.. حتى نزل في النهاية ليجدهما في سيارة مغادرة.. ولم يستطع اللحاق بهما.

****

(٥)

نزل منصور ومئات الأسئلة تعصف بعقله، وكان أكبرها والذي ألح عليه باستمرار.."كيف سأعود لزمني؟". وجد نفسه قد وصل أمام المنزل لا إراديًا بعد فترة من السير بدون توجيه. كان الوقت بعد العصر بقليل وقد انكسرت أشعة الشمس وهدأ الشارع. لم يعلم أين يستريح وقد أتعبه السير ذهابًا وإيابًا وقرر أخيرًا أن يدخل المسجد ويتخذه بيتًا له حتى يعود. فشقته لم يتم بناؤها بعد في هذا الزمن. وفي المسجد لن يراه أحد وبالتالي لن يزعج أحدًا. سمع من قبل أن المكوث في المسجد واتخاذه منزلًا حرام ولكنه يعلم أن حالته تلك استثناءٌ، فهو خائف ولن يستريح قلبه سوى في بيت الله. اختار بقعة في أقصى المسجد لا يستخدمها الناس عادة. وأسند ظهره، وسرعان ما نام.

لم يعلم كم من الوقت قد نام، ولكنه استيقظ فجأة على صوت أذان المغرب.. تضاربت المعلومات في عقله وتداخل الماضي مع الحاضر، فهو في المسجد الذي لم يتغير كثيرًا على مرور السنوات،

وكذلك هذا الصوت الذي يعرفه.. ذلك الصوت من المستقبل لا يتلاءم مع حياة الماضي تلك.. توجه ناحية المؤذن ليجد الشيخ محمد أشرف الذي برغم كونه في الخمسينات يُعد شابًا إذا ما قورن بحاله في المستقبل. توضأ ثم صلى وراءهم في ركنه في آخر المسجد. خرج بعدها من المسجد وقد شعر بالجوع، سرق طعامًا.. لم يره الناس بالطبع، ولكنه لم يستمتع بتلك التجربة، فهو موقن أنها سرقة وإن كان مضطرًا.

طال به التنزه حتى بعد العشاء، فرجع المسجد ونام حتى أيقظه أذان الفجر بصوت الشيخ محمد. توضأ وصلى معهم ثم خرج إلى الجريدة ينتظر أباه. وفي الطريق وضع كل السيناريوهات المُمكنة لما سيحدث كي ينتهي الأمر بمقتل أبيه. وصل المكتب الساعة السابعة تقريبًا، بعدما مر بالكورنيش لفترة. دخل المبنى ودخل المصعد ليتجنب السلالم المتكسرة هذه المرة. دخل الجريدة وكانت في هذا اليوم في حالة غريبة. كان الجميع في حالة تسابق، ملفات تذهب إلى ذلك المكتب، وهواتف ترن. كان جو من الانشغال يحيط بالمكان.. فهم وقتها أن ساعة نشر اسم القاتل قد اقتربت.

لم يبذل جهدًا إضافيًا فهو يعلم أين يجد والده. دخل مكتب إسلام، الذي كان بابه مفتوحًا طوال الوقت تقريبًا لكثرة الوافدين عليه. وبعد

دخوله بقليل رن هاتف إسلام فرفع السماعة وانتظر قليلًا ثم قال: دعيه يدخل.

وطلب من كل موظفيه أن يغادروا المكتب إلا سليم بالطبع. وقف منصور مشدوهًا منتظرًا الوافد الجديد الذي من أجله انقلب مزاج إسلام وأخلى له المكتب. لم يطل انتظاره حتى دخل عليهم رجل طويل القامة، رشيق القوام، تظهر عضلاته من أسفل قميصه الأبيض الذي ارتداه على بنطال جينز أسود. وجهه الأبيض ذو العينين الحادتين والحاجبين الكثين الموصولين فوق أنفه المتوسطة أعطاه منظرًا مهيبًا. بمجرد النظر ستخمن مهنته. وما إن أغلقت السكرتيرة الباب حتى قال في جمل مقتضبة مادًا يده اليمنى:

- المُقدم عمر عبد المجيد.. مباحث عامة.. والمسؤول عن القضايا الثلاث.

رد عليه إسلام مبتسمًا وهو يصافحه وسليم ينظر له في تشكك:

- أهلًا وسهلًا سيادة المُقدم. بالطبع أعرفك لقد قرأت عنك كثيرًا في التقارير والتحقيقات التي مرت بي.. ضابط متميز وشغوف بعمله.

- شكرًا.. هل يمكن أن نتحدث أمامه؟

وجل منصور لحظتها، حتى فهم أنه يُشير إلى أبيه. فضحك من نفسه ثم دار حول المكتب ليجلس على كرسي إسلام، الذي كان جالسًا في مقابلة عُمر على أحد الكرسيين أمام المكتب.

- إنه سليم، مساعدي وأمين أسراري. يومًا ما سيكون من أعظم الصحفيين شأنًا.

بلغ فخر منصور بهذه الشهادة، أكبر من فخر أبيه نفسه. رد سليم تحية عمر ثم وقف خلف إسلام ليسمع الحوار. علم أن الضابط قد أتى ليعرف ما عرفوه هم. مد عمر يده لإسلام بصحيفة اليوم مشيرًا للخبر الأكبر في الصفحة الأولى.

- ما هذا؟ هل ستعلن غدًا بالفعل عن شخصية الجراح؟ هل عرفته؟

- بالطبع، نحن نحقق وعودنا دائمًا.

- من هو؟

- لن يمكنني إخبارك إلا بعد أربعٍ وعشرين ساعة.. في عدد الغد.. فمصدرنا لن يخبرنا إلا قبل الطبع بدقائق.

وبعد مناوشات، أغلبها تهديد من الضابط أنه سيقبض عليه بتهمة إعاقة تحقيق جارٍ، ورد إسلام الذي أخبره أن موقفه القانوني سليم، فهو

لا يخفي معلومات، لأنه ببساطة لا يعرفها حتى الغد. وابتسم له ابتسامة تعني أنه يعرفه من الآن ولكن لن يخبره. نهض عمر بغضب والتفت لسليم بنظرة مفادها أنك من ستخبرني. ثم غادر. جلس بعدها سليم في الكرسي الذي غادره عمر وشرح له إسلام، أن بعض رجال الشرطة يخبرون أخبارًا خاصة لرجال الصحافة مقابل أن ينسبوا لهم أفضالًا وما إلى ذلك. وقد انتظرت رجالًا يحضرون ليعرفوا بعد إعلاننا اليوم أننا سنفضحه غدًا، كي يعرفوا وينشروا في جرائد أخرى. أعلم أن عمر ضابط جيد، ولكن لا أعرف فيما قد يستخدم تلك المعلومات.

- كيف حال ابنك منصور؟ هل هو بخير؟

كان منصور شاردًا وهو جالس على كرسي إسلام، ولكنه اهتز عندما سمع اسمه. نظر لإسلام كأنه قد ناداه. انتظر أن يعلم لماذا قال اسمه، حتى رد سليم:

- إنه بخير الحمد لله.

- إذا احتاج أي شيء أخبرني فأنا جده الثاني... خذ يا سليم.

أخذ سليم الورقة من إسلام وفتحها، ليجد اسمًا رباعيًا مكتوبًا في وسطها وعنوان أسفله.

- إذا قتلني قبل أن أفضحه، يجب أن تخبرهم بهويته.. أنا سأغادر بعد قليل، اذهب أنت لبيتك وابنك.. ولا تخبر أحدًا بأنك تعلم.

غادر سليم المكتب وبالطبع تبعه ابنه الذي انسل خلفه عندما فتح الباب. ركبا المصعد بصمت.. وقفا ينتظران السيارات كي يعبرا الشارع وفجأة دوى صوت عالٍ تبعه سقوط جزء من الواجهة الزجاجية فوقهما. وقف منصور في حيرة بينما هرول أبوه إلى المصعد، وقد لحقه منصور بأعجوبة. صعدا ليجدا إسلام وقد أحاطه موظفو الشركة.. مقتولًا وقد امتلأ قميصه بالدماء كأنه يترف من جسمه كله، ولكن النزيف كان من القلب. رفع سليم رأسه بهدوء يتنافى مع تيار الغضب في عينيه: لقد قتله الجراح.. لقد قتله.

قالها وهو يجز على أسنانه.

****

كان ذلك الأحد طويلًا بحق، وبقى منصور مع والده في المكتب والتحقيقات وما إلى ذلك حتى الفجر. نزل سليم ووقف أمام الجريدة يتأمل زجاج اللافتة المكسور، ويقف من خلفه ــ وهو لا يدري ــ

ابنه، الذي لم يعلم هل يذهب معه إلى المنزل. ولكن إن حدث ذلك فإنه سيتقابل مع نفسه، وهو ما حذره منه جده. استمرت تلك الوقفة وتأمل الزجاج لنصف ساعة كاملة. ثم تمشى والده ناحية كوبري قصر النيل فتبعه منصور. حتى اقتربت الساعة من السابعة صباحًا.

ثم تثاءب منصور..

****

(٦)

جلس منصور مع درة في المكتبة، وبالحديث عنها فلقد آن الآوان لنعرف من هي درة، فدرة باختصار فتاة سهل أن تصادفها في يومك العادي. جميلة ولكنه ذلك الجمال المرمري البسيط، وما زادها جمالًا هو ذلك التناسق بين سواد العينين الواسعتين وبياض الوجه المستدير، والأنف الدقيق ورقة ابتسامتها. وبين النظرة الخجلة والخدود الوردية. كانت أفروديت منصور.. لا تفعل شيئًا إلا وزادها جمالًا في عينيه، فحجابها يزيدها جمالًا، ألوان ملابسها المُبهجة زادتها جمالًا، ضحكتها الصافية زادتها جمالًا.. ولكن أكثر ما زادها جمالًا تصالحها مع نفسها، فيكفيها أن تعلم أن ذلك الشيء خطأ لتوقفه، دون تحايل أو مماطلة.. ولنتذكر شرطها بأن يقابل منصور والدها كي تستكمل حديثها معه كبرهان على ما قلت. نحمد الله أن منصور عندما تحطم.. انغمس في شيء بهذا الجمال.

- لا أعلم يا درة.. لقد أخذت المحلول صباح اليوم، لا أتذكر الساعة على وجه الدقة ولكنها كانت التاسعة تقريبًا.

- وكل ما تحكيه حدث في اللا شيء؟ لقد اتصلت بك بعدما أغلقنا الهاتف مباشرة لأودعك، وفتحت الهاتف لتخبرني أنك قد عدت.. كيف هذا؟

- وهل يبدو أي مما حصل معقولًا؟ فميراث جدي لي شقة ومكتبة ووسائل للسفر بالزمن، أسافر لأرى أبي في خضم أحداث أكثر تعقيدًا من أي فيلم أجنبي شاهدته، ثم أستيقظ على رنين هاتفك لأقول لكِ أنني عدت، لأجد زمننا لم يتغير.

- الأمر كله جنوني أشهد بذلك. ولكن طمأني هل الأمر خطير؟

- لم يكن بتلك الخطورة. لا تقلقي.

- مما حكيت فإنك لم تعرف كيف تصرف والدك، ولم ترَ الاسم في الورقة التي معه.. هل تظن أنه قتله أيضًا؟

- لا أعلم.. ولكنني خرجت بدروس مستفادة كثيرة من تلك الرحلة، يجب أن أختار المكان الذي سأسافر منه بدقة، لأنني سأظهر فيه منذ ثلاث عشرة سنة، لذا يجب أن يكون مكانًا لم يتغير في كل ذلك الوقت وإلا عرضت حياتي للخطر.

قاطعته مندفعة: المسجد، المسجد لم يتغير كما وصفت. أومأ لها معترفًا بذكائها واستطرد:

- المحلول يُبقيني في ذلك الزمن ثمانٍ وأربعين ساعة فقط؛ لذلك يجب أن أستغلها جيدًا.. كذلك يجب أن آخذ معي أكلًا قليلًا.. فتجربة سرقة الطعام لم تكن ممتعة وأنا أدين لذلك الرجل.

وقفت هي:

- والآن لدينا عمل كثير لنقوم به، يجب أن تعرف قصة ذلك الأعسر والجراح وعبد الرحمن سمير من الإنترنت وكل الوسائل المُتاحة، لأنك إذا سافرت مجددًا يجب أن تعلم كل ما سيحدث لتقرر أي الأحداث تستحق الحضور وأيهم يمكن إهماله. ابتسم لها قائلًا:

- حسنًا أيها المتحري الجميل.

ابتسمت في حياء ـــ وكي يكون وصفي كاملًا فالحياء قد زادها جمالًا أيضًا ـــ ناصحة بأنه يجب أن يهتم بالدراسة. ويجب ألا يضيع مستقبله في رحلة البحث في ماضيه. وأنها لولا تأكدها أن تلك المغامرة لم تكن خطرة، وأنها تقدّر ماذا يعني له أن يعلم ما طال به الزمن دون أن يعلمه، ما كانت لتسمح له بتكرار السفر.

****

مضت الأيام ثقيلة على منصور، ينتظر مرور ذلك الشهر بفارغ الصبر. مر منه أسبوع حتى الآن. لم يلتق بدرة من وقتها. يعلم أن درة لا تُحب أن تأتي المكتبة على الأقل حتى الخطوبة، لذلك لم يكن ليطلب منها المجيء.. كانا يتحدثان من وقتٍ لآخر عن دراسته وعن المعلومات التي وصلا إليها. حتى اتصلت درة ذلك اليوم بعد أسبوع من مجيئه وقالت يجب أن نتقابل. أخبرها أنه في المكتبة وينتظرها.

وصلت درة وقد ارتسمت الجدية على وجهها.. التي بدت متنافية مع ملامح وجهها الرقيق. سألته:

- أين بحثت؟

- في الإنترنت، ولم أجد الكثير ولكنني علمت أن..

قاطعته:

- الجراح قتل الأعسر نتيجة خلاف بينهما في العمل.. وانتهى الأمر بموت الجراح ميتة طبيعية بعدها بسنوات في السجن.. أما عبد الرحمن سمير فقد قُتِل بأسلوبه الخاص.. رصاصة في الركبة، وبعدها رصاصة في الرأس.. ولم يعلموا من قتله إلى الآن.

- ماذا؟ هل أنتِ متأكدة؟

- بحثت في الجرائد القديمة. الأعداد في تلك الفترة متاحة على المواقع الإلكترونية لأكثر من جريدة.

- أريد تاريخ حدوث كل ما قلتِ.. متى قُتل الأعسر، ومتى سُجِنَ الجراح. ومتى قُتِل عبد الرحمن؟

قال تلك الجملة متقطعة وقد تلاحقت أنفاسه. الأمر خرج بالفعل عن حيز العقل. الجراح يقتل الأعسر.. كيف؟ ومن سيقتل عبد الرحمن سمير بأسلوبه؟ ثم ألح عليه سؤال حتى خرج على لسانه: "ومن سيقتل أبي؟".

- ماذا قلت؟

- من سيقتل أبي؟ يجب أن أعرف تاريخ موتهم حتى أعرف من سيقتله منهم؟

لا يمكنني الآن وصف حالة منصور. عقله بدا وكأنه يحترق، قلّ نومه وضاع استقرار حياته. يتوقع احتمالات كثيرة، ثم يضرب بها عرض الحائط إذا ما توقع احتمالًا جديدًا. الجراح يقتل الأعسر يوم ٢٠٠٣/٤/١٣ أي بعد مقتل إسلام أنور بأسبوعين بالضبط. ثم يُسجن في نفس اليوم الجراح. ليموت بعدها بأربع سنوات في سجنه ويخرج من الصورة بعد ذلك. أما عبد الرحمن سمير سيُقتل بأسلوبه يوم

٢٠٠٣/٦/١٣. أي بعد مقتل إسلام بشهرين بالضبط. هل الأمر صدفة؟ ولكن أبي لم يُقتل بسبب كل ذلك. أبي ظل حيًا حتى بعد ٢٠٠٣/٦/١٣. أيها الزمن.. مرّ سريعًا! باقي عشرة أيام على مدة الشهر بين كل سفر وآخر كما كتب جدي.. وسيكون متاحًا لي السفر.

قرر منصور أنه سيحضر تاريخ ٢٠٠٣/٤/١٣ ليعلم ماذا حدث لوالده أثناء قتل الأعسر وسجن الجراح. ويحضر مرة أخرى يوم ٢٠٠٣/٦/١٣ ليعرف من قتل عبد الرحمن سمير وماذا حدث لأبيه أيضًا. ولكن يجب أن يمر الزمن أولًا... بقي عشرة أيام.

****

(٧)

مر شهر كامل، وجاء يوم الثلاثون من أبريل، أخيرًا يمكن لمنصور السفر. ألقى نظرة على السبورة أمامه.

التاريخ الحالي	التاريخ السابق	الجرعة المطلوبة
٢٠١٦/٣/٣٠	٢٠٠٣/٣/٣٠	٢٦ ميللي
٢٠١٦/٤/٣٠	٢٠٠٣/٤/١٢	٢٦,١ ميللي

والعملية الحسابية باتت أكثر تعقيدًا من سابقتها. فهو يريد السفر من ٢٠١٦/٤/٣٠ إلى ٢٠٠٣/٤/١٢ أي أنه يحتاج إلى سفر ثلاث عشرة سنة وثمانية عشر يومًا. حسبها جيدًا.. لم يأخذه بالسرِنجة وإنما اشترى أحد المعدات المخصصة لطلبة صيدلة. يمكنه بها أن يأخذ أجزاء من الميللي بدقة أعلى. وبالفعل ارتدى حقيبة ظهره التي احتوت على

بعض الأكل، وزجاجة مياه قد أفرغ فيها المحلول بالتركيز الذي يحتاجه بالضبط. ودفتر وقلم لا يعلم لماذا أحضرهما. اتصل بدرة التي شجعته وطمأنته، قائلة أنها في انتظاره، ثم نزل إلى المسجد ووقف على عتبته ثم قال: بسم الله. وشرب المياه فتثاءب.

أفاق منصور ليجد نفسه واقفًا على نفس عتبة المسجد منذ ثلاث عشرة سنة. جرى سريعًا إلى ذات المقهى الذي قرأ فيه التاريخ المرة السابقة ليكرر نفس التجربة. وعلم أن تاريخ اليوم ٢٠٠٣/٤/١١. اغتم لوصوله مبكرًا؛ لأنه سيرجع يوم ٢٠٠٣/٤/١٢ ولن يلحق مشاهدة ما جاء من أجله.. فالفترة يومان كما تعلّم من المرة السابقة.

لم يحزن طويلًا، وإنما عزم على استغلال اليومين أفضل استغلال، فهو لم ينتظر ذلك الشهر كاملًا كي يضيعه. تحرك بثقة أكبر هذه المرة وقد اكتسب خبرة أكثر مما سبق في التحرك في الشارع. وصل الجريدة سريعًا بعد أن ركب المترو الذي لم يكن مزدحمًا في تلك الساعة المبكرة. بحث عن والده وسط المجموعات الواقفة، حتى سمع أحدهم يتحدث بأن المُقدم عمر قد قبض على سليم، ويعارضه آخر بأنه لم يقبض عليه وإنما استدعاه للشهادة. بينما أكدت إحدى الموظفات بأنه لا هذا ولا ذاك، وأن عمر يستدعي سليم كل يوم على مدار الأسبوعين الفائتين كي يضغط على أعصابه ليخبره بمعلومات عن

الجراح.. مسكين لو علم معلومات عنه لأخبره. لم يبحث كثيرًا ليصل إلى مديرية الأمن، وبالطبع دخل المكتب.. ولأنه متخفيًا كان الأمر أسهل كثيرًا. كان المكتب نفسه بسيطًا مقارنة بمكتب إسلام. ولكنه كان أوسع وفيه منضدة طويلة في أحد أطرافه المقابلة للمكتب. وفي قبالتها من الزاوية الأخرى توجد أريكة تبدو غريبة وسط هذا الديكور. وقد علق عمر على الحائط خلفه صورة رئيس الجمهورية في ذلك الوقت. وعلق على يسار الباب لوحة دائرية مُقسمة إلى دوائر أصغر تُستعمل لرمي الأسهم عليها. وقد انعكس عليها ضوء الشمس المنسل من الزجاج لتبدو كأنها أقواس قزح متداخلة. كان أمام المكتب كرسيين متقابلين. جلس سليم على أحدهما في مقابلة عمر:

- إن مصلحتنا واحدة، أنت تريد الانتقام لإسلام الذي اعتبرك بمثابة ابنه. وأنا أريد أن أقبض عليه، لقد أثبتنا عليه أكثر من تسع جرائم حتى الآن. لقد قتل تسعة أرواح.

- إنك تتحدث كأبي.. طالما تحدث عن قيمة الحياة. تفاخر دائمًا أنه أنقذ سبعة أشخاص من حريق، لقد قصّ هذه القصة كثيرًا حتى بدت مملة. وإن كنت مهتمًا بالفعل بالإنقاذ لا بالتباهي فيجب ألا تضيع وقتك معي.. لا أعلم عنه شيئًا لقد كنت موظفًا كسائر موظفيه.. وفي الفترة الأخيرة كنت أودع له الأموال في البنك

ولكن لم يأتمني على سر بهذه الضخامة.. أرجوك صدقني فلدي عمل وعائلة ولا أستطيع الاهتمام بهما وأنت تستدعيني كل يوم.

- حسنًا، لن أستدعيك اليومين القادمين، ولكن خذ حذرك لأن هذا لا يعني أنني أصدقك.

خرج منصور خلف أبيه من الباب، الذي قصد أقرب بقال للمديرية واتصل برقم يحفظه:

- هل أنت مستعد لعملية جديدة؟

- من أنت وكيف حصلت على رقمي؟

- أنا الذي سيوظفك، والحصول على رقمك ليس بالصعوبة التي تتخيلها.. أحبابك كثيرون، وأعداؤك أيضًا.

- ماذا تريد؟ أنا لا أقوم بالعمل خلال الهاتف.

- أعلم ولكن عامل الوقت مهم هذه المرة.

- منّ؟

- لا نعرف اسمه.. ولكنك تعرفه، وفي المقابل السعر سيكون الضعف.

- منّ؟

- صديقك الأعسر.

وقف منصور تائهًا عن باقي المكالمة. لقد تواصل والده مع الجراح، وطلب منه قتل الأعسر. وتابع معه المكالمة والتفاصيل كلها. وشدد على أن أهم شيء في هذه العملية أن يخبره الميعاد أولًا. وقبل أن يُغلق الهاتف أخبره بأنه سيتصل بعد أربعٍ وعشرين ساعة ليعرف منه الميعاد.

"الأمر يزداد تعقيدًا، لقد انتقم والدي كما أراد. لم يقتل الجراح، فهو ليس بقاتل إلى جانب أن الضابط الذي سيتهمه في قتله. لذلك سيجعل الجراح يقتل الأعسر، وبِبلاغ من مجهول يخبرهم بعنوان الجراح، وسيذهبون إليه ليجدونه عائدًا بسلاح الجريمة.. بالتأكيد هذا ما فعله، لذلك أراد تأكيدًا على ميعاد التنفيذ ليُبلغ الشرطة في هذا الموعد. لقد انتقم والدي من الجراح، وأنقذ المجتمع من الأعسر. ولكن هل لهذا علاقة بقتله؟ الجراح سيعيش في السجن وقد يُرسل أحدهم ليقتل أبي بعدها فمثل هؤلاء كالأخطبوط.. يده لا تعرف حدودًا".

كان هذا الاستنتاج دائرًا في عقل منصور وهو سائر خلف أبيه بلا وعي. يسير وقد اختلطت مشاعره، ما بين فخر بذكاء والده وخطته المحكمة، وبين شعور بالسخط. ثم استوقفه سؤال: "لماذا أراد جدي أن أعرف أن والدي قاتل؟".. فمن الغريب أن يزرع جده فيه حب أبيه،

وأن يجعله مستعدًا لأن يضيع حياته كلها في سبيل معرفة كيف مات، ثم يرسله إلى تاريخ يرى فيه والده وهو قاتل.

وصلا إلى الجريدة، ليصيح سليم بالحاضرين: "لقد عدت".

هنأه الحاضرون وجلسوا معه ليحكي لهم ما فعله مع الضابط. استمر العمل في الجريدة بعدها، وتولت طليقة إسلام ــ والتي كانت صحفية أيضًا ــ مسؤولية إدارة الجريدة في تلك الفترة، وقد حققت الجريدة مبيعات مرتفعة نتيجة الإعلان من رئيس مجلس الإدارة أنه يعلم معلومات عن الجراح.. وما تبع ذلك من اغتياله بواسطته. استمر منصور في التواجد خلف والده في كل الأوقات تقريبًا، حتى في أكثرها مللًا في العمل. نام منصور ليلته تلك في الجريدة منتظرًا عودة أبيه غدًا. فهو لا يمكنه أن يلازمه في المترل وإلا سيقابل نفسه، ويحدث ما هدده جده منه. لن نتعجب من نومه في ظل تلك الظروف، فمنصور مرن، مرح، ذكي حتى يأتي موعد النوم فلا يمكنه أن يكون سوى منصور النائم.

في اليوم التالي وصل سليم مع أوائل الواصلين، وما إن دخل الجريدة حتى ذهب إلى هاتفه واتصل برقم يحفظه ليجري تلك المكالمة المقتضبة:

- متى ستنفذ؟

- غدًا مساءً.

- أموالك سيصلك نصفها اليوم، والنصف الآخر غدًا مساءً.

- لا أعمل بتلك الطريقة.

- وأنا لا أعمل إلا بتلك الطريقة، إنني سأدفع لك الضعف.

- لماذا تريد قتله؟

- منذ متى وأنتم تسألون؟ لا يعنيك في شيء.

- لا أحب أن يشيع أني قتلته لأنني أغار منه، إنه أحمق لا يستطيع حمل السلاح بصورة صحيحة.

- ذلك الأحمق حاول قتلي مرة ولأنه لا يستطيع حمل السلاح بصورة صحيحة لم يصبني.. وأغلق الهاتف.

تعجب منصور من تلقائية والده بالكذب، وكيف يخرج الكلام منه دون تصنع. لم يكن في حاجة للاستمرار في ذلك الزمن. فهو يعلم ما سيحدث، الجراح سيقتل الأعسر، وسيُقبض على الجراح. وسيخرج أبوه من كل هذا سليمًا.

ولكن مجددًا يطرح عقله سؤالًا يحيره لفترة:

"من أين جاءت أموال والدي التي سيدفعها؟ هل يُعقل أنه يُخطط للأمر منذ زمن لذلك جمع أموالًا له؟

يا الله، والدي قاتل.. ليتني لم أسافر.. ليتني لم أعرف. أظنني لست مستعدًا بعد. كيف سيموت أبي بعد كل هذا؟ والأهم من ذلك هل سيستحق القتل وقتها؟ يا الله.. أريد أن أعود".



(٨)

مر ذلك اليوم ثقيلًا. لم يستطع منصور أن يشرح لدرة ما حدث عبر الهاتف، هل سيشرح لها من الأساس؟ هل سيخبرها أن والده قاتل؟ أخبرها أنه سيشرح لها عندما يراها، متمنيًا لأول مرة ألا يراها لفترة طويلة.

بعد فترة من التفكير والتساؤلات، ذهب إلى المكتبة ليشغله أحلهم وينقذه من تيار الأسئلة الهادر الذي اندفع في عقله. ابتسم عندما وقعت عيناه على كتاب "الإلياذة والأوديسة". متذكرًا ما قرأه في هذا الكتاب الذي احتوى على شرح الإلياذة وما تحتويه من وصف لحرب طروادة وكذلك تحدث عن آلهة الإغريق، والجبابرة وقصة كل منهم. ولكن سر ابتسامته هو تذكره لقصة أورانوس الذي ثار ضده كرونوس وبقية التيتان إخوته. وأن كرونوس هو من قتل أورانوس بمنجل من حجر صوان. كان كرونوس رمزًا للزمن في تلك الأسطورة. دائمًا الزمن هو من ينتصر. قاده تفكيره في هذه اللحظة أن يحاول منع

أبيه مما فعله، فهو يملك عددًا لانهائيًا من المحاولات، فالزمن يفوز دائمًا لأنه يسابق نفسه. انتبه منصور وقتها لدخول أحدهم المكتبة.. لقد كانت درة.

❊❊❊❊

بعد إلحاح ومحاولات فشلت جميعها في إقناعه بأن يحكي؛ وصف منصور ما حدث. وصف لها كيف رأى والده وهو يتفق مع الجراح كي يقتل الأعسر. وكيف كذب بكل سهولة على الضابط، وعلى الجراح أيضًا. أخبرها أن والده هو قاتل الأعسر وإن كان التنفيذ بيد الجراح. حاولت أن تخفف عنه معللة بأن لكل مِنّا أخطاءه:

- من يعلم كيف ستتصرف لو مررت بنفس الظروف؟

- ما كنت لأقتل.

- إنني لا أدافع عنه، ولكن هو لم يقتل. هو جعل قاتلًا يقتل قاتلًا آخر. لقد حقق العدالة من وجهة نظره. انتقم لرئيسه الذي كان في منزلة أبيه.. وأنقذ أرواحًا كانا سيقتلاها.

- أنا لا أشعر بتعاطف نحو أي منهما، إنهما قاتلان ويستحقان ذلك بطريقة أو بأخرى. لكن ليس بيد أبي، لقد تعامل بمنتهى ضبط النفس والخبرة وكأنه يقوم بذلك لسنوات.. ثم من أين له بالمال؟

- من المال الذي كان سيودعه في حساب الجريدة والمطابع، هذه هي الأموال بالطبع. الأمر لم يكن محيرًا من وجهة نظره، سنحت له فرصة التخلص من قاتلين دفعة واحدة وينقذ العشرات، فاستغلها. ادع له بالمغفرة.

- وعبد الرحمن سمير الذي سيموت بعد شهرين.. هل أبي قتله أيضًا؟

- أظن بعد شهرين هناك ما يشغل بالك أكثر.. ركز في مستقبلك كما أخبرتك من قبل.

لانت ملامحه بعد تلك الجملة:

- الخطِبة؟ إنني أعدُ الأيام كي أتخرج و..

قاطعته:

- بل أقصد الامتحانات.

****

مرت الأيام ببطء عليه، بدأت الاعتيادية والروتين بغزو أفعاله. فهو يستيقظ كل صباح. لينزل إلى المكتبة يقرأ ويذاكر ويحادث درة. وعلى الرغم من مرور شهر على آخر سفر قد سافره. إلا أنه نزولًا على رغبة درة لم يسافر ولن يسافر إلا بعد الامتحانات. أي أنه لن يسافر إلا بعد الخطبة.

امتحن منصور المواد الثلاث اللاتي يبلغ وزهن سنة من عمره. وقد كانوا أول المواد في الجدول. لذا انتهى من امتحاناته مبكرًا. وكما اتفق مع والد درة، فالخِطبة ستكون بعد التخرج بأسبوع. فهو ليس له أخوة ليقضي خدمة في الجيش، ولديه مكتبة جده وشقته. وبالطبع سيبحث عن وظيفة تتناسب مع شهادته. ولكنه باختصار مستعد ماديًا للزواج الذي اتفقوا على أن يكون بعد الخطبة بستة أشهر. وقد كان.. حيث أقيمت الخِطبة في منزل درة في الرابع من شهر يونية ــ قبل رمضان بيومين ــ بحضور خالته وبنتي خالته التوأم. وحضور أهل درة كلهم. كان الحضور غير متكلف وكانت فرحتهم حقيقية. وانتهوا من مراسم الخِطبة سريعًا، ليخرج منصور مع درة لأول مرة بشكل رسمي.

كان قد وعدها بمزج الحاضر بالماضي في تلك النزهة. خرجا معًا إلى وسط البلد، تلك المنطقة التي تحفظها درة. ولكن كانت نظرتها

مختلفة هذه المرة، فقد عمل منصور كمرشد سياحي. هذه العمارة كانت منذ ثلاث عشرة سنة بلونها القديم ذاته قبل إعادة طلاء هذه العمائر بلون واحد السنة الفائتة. هذا المطعم كان جراجًا. ومحل الملابس هذا لم يكن كذلك، بل كان جزارًا. ثم توقفا.. وهذه العمارة كانت بها جريدة السبق. أشار بيديه. كنت هناك عندما سقط زجاج الواجهة. وفي طريق عودتهما أشار لها بأن المطعم الذي سرق منه الطعام وقتها أصبح محل شاشات تليفزيونية. وبالرغم من بساطة تلك النزهة إلا أنها كانت ممتعة. ختمها منصور بجملة واحدة:

- سأسافر يوم الأحد.

- الأمر بدأ في الاستحواذ عليك.. خذ حذرك.

****

(٩)

جاء الثاني عشر من يونية، وكان سادس يوم في شهر رمضان. لذلك قبيل الفجر توقف أمام السبورة ليراجع الجرعة مرة أخرى.

التاريخ الحالي	التاريخ السابق	الجرعة المطلوبة
٢٠١٦/٣/٣٠	٢٠٠٣/٣/٣٠	٢٦ ميللي
٢٠١٦/٤/٣٠	٢٠٠٣/٤/١٢	٢٦,١ ميللي
٢٠١٦/٦/١٢	٢٠٠٣/٦/١٢	٢٦ ميللي

المطلوب السفر من ٢٠١٦/٦/١٢ إلى ٢٠٠٣/٦/١٢ أي قبل حادثة قتل عبد الرحمن سمير بيوم ليرى دور أبيه في ذلك. اتصل بدرة:

- سأسافر الآن يا درة.. دعواتك.

- أحاطك الله بعنايته.

- إلى اللقاء.

- أحبك.

وأغلقت الهاتف. كانت تلك المرة الأولى التي تصرح فيها. مرت سنة تقريبًا على ذلك اليوم الذي صرّح فيه لها بأنه يحبها في الكلية. ومر أسبوع على خطبتهما، وهذه أول مرة يسمعها منها. لا أعرف السبب في رفعه لزجاجة الماء أمامه وتقبيلها.

نزل بزجاجة الماء أمام المسجد، وقف على عتبته قائلًا: بسم الله. ثم شربها. وجد نفسه بعدها يستيقظ على نفس العتبة. كانت الساعة التاسعة كما أخبرته ساعة المقهى، صباحًا كما أخبرته أشعة الشمس. يوم الثلاثاء الحادي عشر من يونية كما أخبرته جريدة أحد رواد المقهى.. كالعادة وصل يومًا مبكرًا.

أضاع منصور وقتًا إضافيًا في الذهاب إلى الجريدة مشيًا؛ لأنه لم يستطع المغامرة في المترو مع كل هذا العدد وهم لا يرونه. قد يدفعه أحدهم دون أن يراه ليسقط هنا أو هناك فيدهسه أحدهم.. لذلك التزم الخيار الأكثر أمانًا وإن كان أكثر استهلاكًا للوقت أيضًا.

وصل منصور الجريدة، دخل باحثًا عن أبيه، ليجده ذاهبًا إلى مكتب إسلام سابقًا، ومكتب طليقته حاليًا. دخل معه منصور ليرى

امرأة أربعينية صارمة الملامح كأنها لم تبتسم من قبل.. تجلس في كرسي إسلام، ولم يتغير في المكتب شيء سوى اللافتة النحاسية. استبدلت القديمة التي تحمل اسم إسلام بأخرى مكتوب عليها:

ياسمين علاء

رئيس مجلس الإدارة

وبالطبع تم استبدال زجاج الواجهة الذي تهشم يوم الحادثة. ولكن في العموم لم يتغير المكتب في الشهرين الفائتين. ظل وجهها جامدًا بعد رؤية سليم، الذي طلب منها الذهاب للمنزل لأن ابنه مريض. تعاطفت معه بشكل مصطنع وسمحت له بالذهاب. نزل منصور وراء أبيه غير متفائل. إذا ذهب سليم إلى المنزل ولم يحدث شيئًا اليوم، فإنه قد ضحى بيوم من اليومين، أي أن نصف المدة التي سيقضيها في هذا الزمن قد ذهبت سدى.

أشار أبوه إلى سيارة أجرة، وأخبر السائق عن وجهته لمديرية الأمن. تهلل منصور للحظة.. ذلك يعني أنه سيشهد أحداثًا اليوم. ولحسن الحظ فإن أباه قد ركب في المقعد الخلفي. مما أتاح لمنصور أن ينسل معه.

****

- حسنًا يا سليم، لقد أرسل لي خطابًا آخر.

بدا على سليم المفاجأة، وعلى منصور عدم الفهم ولكنه استطرد:

- ألا تلاحظ المصادفة؟ لقد أرسل لي الخطاب السابق منذ شهر بالضبط.

بدا على سليم الغيظ من تلك الملحوظة فاستكمل حديثه:

- لقد طلبت منك بعد الحادثة بكل الطرق أن تخبرني ما تعرفه عن الجراح، ولكنك رفضت. وتصرفت بناءً على رغبتك في الانتقام.

- لم أفعل شيئًا.

- أعلم أنك من طلبت منه قتل الأعسر وأبلغت عنه، كان يمكنني أن أثبتها عليك إذا قبل الجراح أن يشهد عليك، ولكنه رفض بل تخلص من هاتفه أيضًا.. فهو يعلم أنه سيُعدم بكل الأحوال فلماذا يساعدني؟ وكان هذا من حسن حظك. لا يهمنا الماضي الآن فعبد الرحمن قد أرسل خطابًا آخر.. دعني أقرأه عليك:

"حضرة الضابط.. كيف حالك؟ أتمنى أن تُرسل تحياتي لأستاذ سليم أيضًا. أظن أن اللعبة فقدت جزءًا من حماستها. وذلك نتيجة تفوقي

المبالغ فيه عنكما. لقد انعدمت المنافسة بيننا، لذلك سأعيد للعبة ما ينقصها.. التكافؤ.

سأخرج من الظلام، سأجعلك تعرف ما أنوي فعله قبل أن أفعله. ويبقى السؤال هو: هل ستستطيع منعي من فعله؟

لا أعلم هل تتساءل عن سبب مجانية تلك المعلومات، أم تعودت على طيبتي معك؟ ولكن إن كنت تتساءل فذلك لأن عيد ميلادي قد اقترب.. ولذلك أحب أن تحضر لنحتفل به معًا. هل ستنقذ محمود معسر.. أم سنطفئ الشموع سويًا؟

أتمنى فعلًا أن تستفيد من تلك المعلومة، لأن الملل بدأ يطاردني، وأنا أحب الاستمتاع بعملي.

طلب أخير.. إذا ما تقابلنا ذكرني بأن أقص عليك مزحة الثلاثة رجال الذين ذهبوا للتسوق".

- منّ محمود معسر؟

كان ذلك سؤال سليم مشوبًا بالاندهاش مما سمع.

- رجل أعمال شاب، ومن المتوقع أن يكون من أكبر رجال الأعمال في السنوات القليلة القادمة. لماذا تبدو مندهشًا بتلك الدرجة؟

- لقد أخبركم من سيقتل، وبالطبع تعرفون تاريخ ميلاده، فتعرفون متى سيقتل. هل هو مغرور بذلك القدر؟

- الحق معك، لقد أخبرنا كل شيء. ولذلك سنأخذ احتياطاتنا جيدًا. وسننتظره لينفذ العملية ونمسكه أخيرًا.. ولكن هل يجب أن أقلق بشأنك؟

- تقلق بشأني؟ وما دخلي بما يحدث؟

- أنا لم أنس ما قلته لي منذ شهر. لقد استدعيتك وأخبرتك، لأنني شككت أنك قد تعلم تلك المعلومات من مصدر آخر. أمن المفترض أن ألقي القبض عليك اليومين القادمين أم أضع حراسة على منزلك؟

- لا تقلق، لقد نسيت الموضوع.

احتد صوت عمر فجأة بعد تلك الجملة:

- هل تراني غبيًا؟ لقد أخبرتني في المرة السابقة أنك ستنتقم منه. وعلمت أيضًا أنك أشتركت في نادي الصيد، وأصبحت بارعًا في استخدام القناصة. هل تُريد قتله بأسلوبه الخاص كما توعدت؟

- لا أعلم إن كنت ستقتنع أم لا. ولكنني لست قاتلًا. لقد عزمت على ذلك بالفعل وتمرنت في نادي الصيد على الرماية. ولكن تراجعت عن ذلك، لأني لست بقاتل.

- إذا قتلته.. أقسم بالله سأقتلك.. إن لم أستطع القبض عليك سأقتلك.

غادر سليم، يتبعه منصور الغير مرئي. وكل علامات الدهشة رُسمت على وجهه. أهذا ما يحدث فعلًا؟ والدي سيقتل ج.. وبالتالي عمر سيحاول القبض عليه ولكنه لن يستطع فيقتل هو أبي؟ من الواضح أنني سأسافر المرة القادمة إلى تاريخ الشهر السابق، لأرى المحادثة التي جرت بين الضابط وأبي. وكذلك يجب أن أعرف متى مات والدي. يجب أن أسافر إلى ميعاد موته لأقطع كل الشكوك.

سار منصور خلف أبيه في الطريق حتى فهم منصور أن هذا طريق عودة آخر إلى الجريدة. ركبا المصعد، كان معظم الموظفين قد غادروا في ذلك الوقت. دخل سليم مكتبه وأخرج ملفًا من خزانة الملفات. كان يعلم مكانه بدقة، أخرج وريقات منه وفرد إحداها أمامه تظهر فيها صورة لشاب وسيم، وجهه أبيض مستدير، عينان خضراوان، شعر ناعم مُصفف بعناية.. تتوسط الصورة ابتسامة هادئة. نزل منصور بعينه إلى المكتوب أسفلها:

"عبد الرحمن سمير، ولِدَ ١٩٧٤/٦/١٣ في كفر الشيخ. تخرج من كلية الهندسة جامعة القاهرة عام ١٩٩٨ قسم ميكانيكا...."

توقفا عن القراءة وفي حركة تبدو للرائي ــ إن استطاع رؤية منصور ــ أنهما قد تمرنا عليها معًا. رفعا رأسيهما قائلين "عيد ميلاده بعد الغد".

مرت بقية ذلك اليوم بدون أحداث تُذكر.. رجع هو للمسجد لينام، بعد أن ذهب أبوه للمنزل. كان عقله يعمل كآلة ضخمة، يُدخل كل التفاصيل التي سمعها، ويُخرج احتمالًا، ثم يعمل على فحص هذا الاحتمال.. هل يتوافق مع المعلومات التي يعلمها من المستقبل؟ إن كانت الإجابة لا، فإنه يُهمل. وإن كانت نعم فإنه يُضاف إلى قائمة طويلة من الاحتمالات. ثم يعيد النظر في تلك القائمة، ليعيد ترتيبها من حيث الأكثر منطقية وتوافقًا مع معلوماته المستقبلية. يستوقفه كل بضع دقائق صوت درة قائلًا "أحبك".. فيبتسم ناسيًا الضابط وإسلام وأباه.

لم يتركه عقله الثائر للنوم إلا بعد صلاة العشاء بقليل. وأيقظه قبيل الصبح، فصلى وخرج. بدأ صوت عقله مرة أخرى: "من البديهي أن والدي لن يذهب إلى الجريدة اليوم، فهو سيقتل سمير غدًا. والضابط

ينتظر حدوث ذلك، لعله تركني عند خالته أو جده، كي يجنبه اقتحام الشرطة للمنزل وهو طفل". عزم على المرور بالجريدة على سبيل التأكيد. وما إن خرج من الشارع وهو لا يعلم وجهته إذ فوجئ بوالده.

- ماذا جاء بك؟ أنت لا تسكن هنا بعد!

سأله منصور وكأنه سيسمع. تبع والده وهو لا يفهم شيئًا. ماذا سيحدث لو تركوه يتوقع بعض الأحداث؟ دخل أبوه ووقف بمحاذاة عتبة المسجد التي استيقظ عليها ابنه الأمس.

- أريد أن تنتهي هذه الشقة بحلول ثلاثة أشهر... لا أعلم كيف، ولكن أعلم أن لكل شيء ثمن. اضغط الوقت والعمال قدر المستطاع، وسأعوضك.

انتبه وقتها منصور أن أباه كان يتحدث مع المقاول الذي كان يرافقه طوال الطريق. ولكن منصور أغفله من فرط المفاجأة. ظل بعدها يردد ساخرًا: "أرجو أن يجعل غرفتي أكبر هذه المرة".

خرج سليم مع المقاول من الشارع يتبعهما منصور شاردًا، فهو غير مهتم بمعرفة تفاصيل حسابهما، حتى توقفا وركبا سيارة. لم يستطع

منصور أن يصاحبهما لأنهما ركبا في مقعد السائق والمقعد المجاور له، ولم يدعا مجالًا في أن ينسل بينهما.

وقف خلفهما محتارًا لا يعرف وجهته التالية.

****



(١٠)

لم تطل حيرته، حيث وصل إلى مكتب المُقدم عمر.

كانت به حالة غريبة، نفس الحالة التي رآها منصور في مكتب إسلام يوم الإعلان عن معرفته بمعلومات عن الجراح. دخله بسهولة وسط أكثر من خمسة ضباط شباب أقل رتبة من عمر. وقفوا جميعًا حول تلك الطاولة الطويلة الكائنة في أحد أطراف الغرفة. بدأ عمر في الحديث بجدية:

"ما نعلمه هو أن محمود معسر هو الهدف. ونعلم أن ميعاد التنفيذ غدًا وأتوقع أنه ليلًا. نعلم أن سمير دائمًا يخالف التوقعات في مكان تمركزه. دائمًا يتمركز أبعد من المتوقع بكثير. سلاحه ثقيل لذا هو يحتاج إلى سيارة، لتضمن له الهروب.. تلك هي معطياتنا.

أما ما يعلمه هو.. حسنًا هو يعلم كل ما نعلمه، فهو يعلم أننا ننتظره ويعلم أننا نعرف كيف يتمركز. لقد أخبرنا بذلك لأنه يريد منا أن نتصرف تصرفًا معينًا، ويجب أن نعمل على ألا نتصرف كذلك".

تحدث أحد الضباط الشباب:

- إذا سمحت لي سيادتك.. لو كانت قضية أخرى لاقترحت استبدال الهدف بآخر من رجالنا بحيث نضمن سلامة الهدف بعيدًا عن الفيلا وإطلاق النيران، ولكننا لا نستطيع أن نفكر بتلك السطحية. فقد يترصد المجرم لعملية الاستبدال ويقتله خلالها. ولذا أقترح أن نستبدله مع إبقائه في منزله ونبحث له عن نقطة عمياء في المنزل لا يمكن لقناص من الخارج أن يصيبه فيها كقبو مثلًا، ونضع أحد رجالنا مكانه؛ لأنه سيكون مُدربًا أكثر وبديهته أسرع وإحساسه بالخطر أعلى.

أومأ له بإعجاب مُعقبًا:

- هكذا يجب أن نفكر.

تحدث ضابط آخر بعدها وكأن جملة عمر شجعته:

إذا سمحت لي.. الفيلا في منطقة نائية ومن السهل التمركز على بعد شارعين على أحد الفلل التي يتم بناؤها. ولكن لأنه يحب المسافات الأبعد، فإنه سيقف على البنايات التي في نهاية الشارع. مكان جيد كاشف للفيلا، وأبعد من المتوقع كعادته. لذا يجب أن نضع رجالًا في تلك الشوارع ليكونوا أعينًا لنا إذا ما حدث شيئًا.

عقّب بعدها عمر:

- لدينا نقاط مراقبة ثابتة على أسطح الفلل المجاورة للفيلا. واستبدلنا كل العاملين في محلات الشارع برجالنا. ولدينا دوريات متحركة على هيئة عمال ومقاولين يصعدون البنايات من وقتٍ لآخر. سيكون لدينا دورية أخرى مهمتها البحث عن سيارة المجرم والإبلاغ عن أي سيارة مشتبه فيها. وسأكون أنا وقوة متواجدين خلف العمارة التي في نهاية الشارع. سأوزع عليكم مهامكم الآن.

وقف منصور مشدوهًا كأنه يشاهد فيلمًا من تلك الأفلام التي أدمنها. لقد شهد لتوه وضع خطة متكاملة الأركان للقبض على سمير. الأمر العجيب هو أن أباه سيتفوق على كل تلك الخطط، وسيقتل سمير وبأسلوبه الخاص. أي أن القناص سيقتله قناص آخر. قناصان، ولن تكتشفهما هذه الخطة.. لقد بدت محكمة بالنسبة له.



لازم منصور عمر طوال اليوم، حتى إنه سمعه يهاتف أباه ليتأكد من كونه في المترل. ونصحه بألا يرتكب أي أخطاء يندم عليها فيما بعد. وأخبره بأن لديه ابنًا يحتاجه حيًا.

نام ليلته تلك في مكتب عمر على تلك الأريكة المترَوية شاخصة عيناه تجاه دائرة التصويب المُعلقة، بينما يعمل عقله في شيء آخر. يعرف أنه غدًا في التاسعة صباحًا سيعود إلى زمنه.. على أي حال هو لا يحتاج لأن يرى ما سيحدث. لقد تخيل ما حدث، الضباط موزعون في الشوارع والمحال ويصعدون البنايات، وعلى العمارة البارزة في نهاية الشارع يجلس سمير في أحد نوافذها ناظرًا في منظار البندقية ليقتل الضابط الذي حل محل محمود معسر. ولكن قبل أن يضغط الزناد، نجد ركبته قد انفجرت ليسقط أرضًا ثم تتبعها رصاصة في رأسه. تخيل عمر يصرخ باسم أبيه بهيستريا بعد مقتل سمير.. ظل في خيالاته تلك حتى سمع "أحبك" بصوت درة وظلت تتردد حتى سكن عقله.

❋❋❋❋

استيقظ فجرًا أو هذا ما حسبه، وعلى الضوء البسيط المنسل من النافذة رأى ساعة المكتب تفاجئه بأنها السابعة صباحًا. استيقظ ولم يكن عمر قد وصل بعد. جلس قليلًا وازنًا خياراته حتى استقر أنه سينتظر أن تصل إلى التاسعة ويعود.. كان يتمنى فعلًا أن يشاهد ذلك، لن يصدق أن أباه قتل أحدهم حتى يرى ذلك بعينه.. بل قد يمنع ذلك إن استطاع.

دخل عمر مرتديًا ملابسه المعتادة من قميص وبنطال ومُمسكا بواقٍ للرصاص في يده. تبعه الضباط بعضهم حضر الأمس وبعضهم يراه لأول مرة. وجد نفسه يناقض قراره السابق ويتبعهم بدوره. ركب مع بعض العساكر في سيارة كانت في الخلف. ظل واقفًا طوال الطريق الذي امتد لفترة أطول مما توقع.

وصل إلى شارع يبلغ طوله حوالي ثلاثمائة متر، وعرضه عشرة أمتار. معظم بناياته لا زالت تحت الإنشاء. تبع منصور عمر الذي انفصل بمجموعة مكونة من ضابطين وخمسة عساكر إلى نهاية الشارع. بينما توزعت العساكر والضباط بعضهم يرتدي ملابس عادية، والآخر مرتديًا ملابس نوم، وبعضهم ملابس رياضية، والبعض يرتدي ملابس عمال، حتى إن أحدهم كان مرتديًا زي عسكري المرور. توزعوا سريعًا، دخلوا المحلات التي كانت مفتوحة في انتظارهم. كان منصور

يلتفت في كل الاتجاهات ليشاهد تلك الحركة الغريبة، فالجميع يحفظون أماكنهم.. لم تمر دقيقتان إلا واختفت سيارات الشرطة من الشارع وعاد الشارع إلى طبيعته.

اختبأ عمر مع مجموعته ومنصور معهم في حديقة إحدى الفلل خلف العمارة التي شكوا فيها خاصة أنها ما زالت تحت الإنشاء وفارغة. ظلوا ثابتين هكذا لفترة طويلة حتى لسعتهم أشعة الشمس وبدأ العرق يغزوهم. نظر عمر لأحد الضباط الشباب:

- شيئان إذا تغلبت عليهما سأصبح أفضل ضابط في الداخلية كلها؛ زوجتي وشمس الظهيرة.

كتم الضابط والعساكر الضحك كي لا ينفضح مكانهم، بينما صاح منصور بصوتٍ هادر لم يسمعه غيره: "شمس الظهيرة؟" حاول بعدها معرفة الساعة فمن المقرر رجوعه الساعة التاسعة. كيف وصل إلى الظهيرة؟ وصل بعد عدو إلى أحد المحال التي تمركز فيها عسكري لم يسمعه وهو يتقافز في مكانه من الغضب.. "الساعة الثانية عشرة.. هل حُبست هنا إلى الأبد؟" تذكر لا إراديًا درة، تخيلها تبكي، سمعها تقول "أحبك" وتحركت يده اليسرى لا إراديًا لتلمس خاتم الخطوبة في يمناه.

❋❋❋❋

غابت الشمس وما زال عمر ومجموعته متمركزين في تلك الحديقة ومنصور واقفًا إلى جوارهم وقد أيقن أنه لا سبيل للعودة إلى أن يشاء الله. لم يفعل أي شيء خاطئ، لقد أخذ الجرعة بنفس الكيفية في نفس المكان ككل مرة. قسّم عمر مجموعته قسمين نتيجة الظلام الذي جعلهما لا يكشفان العمارة بشكل كافٍ من تلك الزاوية. لذا ذهب هو وضابط وعسكريان إلى الجهة المقابلة من العمارة، وترك ضابط آخر وأربعة عساكر في الحديقة. جلسوا في صمت لمدة طالت لم يقطعه سوى صوت محرك هادر لا يعلمون ما هو. بدأت الرسائل القصيرة في اللاسلكي:

- ليس عندي.

- أنا أيضًا.

- منطقتي خالية.

- لا أرى شيئًا.

هدأ صوت المحرك لفترة ثم عاد، لقد بدا مُبتعدًا. بدأت الرسائل مرة أخرى:

- لقد ابتعد الصوت.

- أظنه ليس رجلنا.

- لا أرى شيئًا.

نظر عمر إلى اللاسلكي بغيظ بعد تكرار الجملة السابقة مرتين بنفس الوتيرة وكأنه يتعمد إغاظته. بقيا للحظات متربصين ثم دوى صوت رصاصة في الفراغ وتردد أصداؤه، وجل الجميع لحظة بما فيهم عمر. حتى قال اللاسلكي "الهدف بخير". فطن عمر الذي أخذ يلتهم السلم صعودًا حتى وصل إلى الطابق الرابع وهو آخر طابق في العمارة. تبعه منصور والضابط والعساكر ليجدوا سمير وقد اتسعت عيناه فزعًا، مُمسكًا بركبته وقد سالت الدماء مكونة بركة صغيرة في الأرض، وقبل أن ينطق بكلمة جاءت الرصاصة الأخرى في جانب رأسه ليسقط تحت أرجل عمر. صرخ عمر باسم سليم. تذكّر منصور أين رأى هذا المشهد، لقد تخيله الأمس قبل نومه مباشرة.

وقف منصور بعدها على حافة المبنى يدور هنا وهناك، حتى فهم أن صوت المحرك هو رافعة تستعمل لرفع الطوب والرمل وقد سُمع صاعدًا وهابطًا. حدث ذلك بينما ترك الجميع عمر بناءً على أوامره، ونُقلت الجثة إلى المشرحة. ووقف وحيدًا، لم يكن معه سوى منصور. رأى منصور وقتها في عيني عمر غضبًا وفشلًا وتيقن وقتها أنه إن طال به الوقت في هذا الزمن سيرى عمر وهو يقتل أباه.

❋❋❋❋

السابعة صباحًا، اليوم التالي..

جلس عمر على مكتبه وقد وقف سليم أمامه ومنصور واقف في المنتصف ليستطيع رؤية كل منهما.

- لقد أقسمت لك أنك إذا قتلته، سأقتلك.

- لم أقتله لقد كنت..

قاطعه عمر بغضب جعل العسكري الذي يكتب المحضر ينظر له قبل أن يدفن رأسه فيما يكتب مرة أخرى:

- لقد كانت أهم قضية في حياتي، كانت أكبر التحديات بالنسبة لي. لقد كانت تذكرتي الوحيدة لأثبت لنفسي بأني مميز.. لأثبت لنفسي أني ضابط كفء.. ثلاثة مجرمين أتتبعهم لسنوات، وأنت في شهرين تنهي عليهم! أحدهم في السجن ينتظر الإعدام، والآخران قتلا، أحدهما بتدبيرك والآخر بيدك.. سأقتلك، إن لم يعدمك قاضٍ ما سأقتلك أنا.

توقف العسكري بالطبع عن الكتابة منذ أول كلمة، فهو يعلم متى يكتب ومتى يجب ألا يُثبت الكلام في محضر رسمي.

- لقد كنت في مطبعة الجريدة طوال الليلة الفائتة. لقد قضيت ليلتي هناك، ويمكنك سؤال عمال المطبعة.

كانت الكلمات السابقة آخر ما سمعه منصور، حيث تفاجأ بوقوفه على عتبة المسجد مُمسكًا بزجاجة المياه التي كان فيها المحلول وهاتفه يرن.. رد قائلًا:

- لقد طالت المدة.

****



(١١)

- لقد قتله أبي.. أبي قاتل.

- هل رأيته؟

- لم أكن بحاجة لرؤيته.. لقد هدد أبي الضابط بأنه سيقتله وبنفس أسلوبه، وهذا ما فعله.

- ولماذا يفعل ذلك؟

- لا أعلم.. ولكن الأمر كله يتعلق بمقابلة جرت منذ شهر.

- وماذا قصدت بأن المدة قد طالت؟

- لقد قضيت ثلاثة أيام بدلًا من يومين.. لم أفعل أي شيء مميز، ولكن من الواضح أن المدة تزيد كلما تعاطيت من ذلك السائل.

وقتها ارتعش صوت درة:

- هل يمكن أن تطول لدرجة أن تُحبس في ذلك الزمن؟

- لا لا، لقد طالت يومًا واحدًا فقط، وأنا أمامي مرة أو اثنتين كحد أقصى ولن يكون هناك للسفر داعي.

قالها محاولًا طمأنتها مما كان خائفًا منه الأمس. لقد ظن أنه قد حُبس في ذلك الزمن للأبد. كان يجلس قبالتها وقتها يتأمل ملامحها التي افتقدها طوال الثلاثة أيام الماضية وقال ضاحكًا:

- لقد هيء لي أنكِ قد قلتِ شيئًا هامًا في مكالمة اليوم.. ماذا قلتِ؟

ردت مغيرة مجرى الحديث:

- ماذا ستفعل الآن؟

ضحك من طريقتها الطفولية ولكنه جاوبها في النهاية:

- سأسافر إلى الإسماعيلية لأقابل خالتي.. يجب أن أعرف متى مات والدي.

- أليست هذه الخالة والدة البنتين التوأم؟

ابتسم هذه المرة ولكن بخبث، لم يُضع فرصة لإثارة غيرتها من قبل. كان من الممكن أن يخبرها بمنتهى الهدوء أنهما أختاه في الرضاعة، ولكن ألن يصبح الأمر ممتعًا إذا أخبرها متأخرًا بعض الشيء؟

- إنها هي بالفعل.

- أرسل لهما تحياتي.

قالتها بغيظ، ورد هو ببرود. وفي النهاية عزم أمره أنه سيسافر بعد ثلاثة أيام إلى خالته.

كان قد وصل الإسماعيلية وركب إحدى المواصلات الداخلية ليصـــل

إلى بيت خالته. دائمًا ما يزورها في الأعياد وأحيانًا في عيد الأم. كان يرى فيها أمه الغائبة، وكانت ترى فيه الابن الذي لم يأتِ. كانت زياراته لخالته ترتقي لتكون زيارة من تلك الزيارات الرسمية، يكفي أن يُمسك الهاتف ويتصل بها ليخبرها أنه قادم في يوم كذا، لترتفع حالة الطوارئ في البيت بعد تلك الإخبارية، وتأخذ القوات المكونة من الأم والبنتين المطبخ ثكنة لها، بينما ترتفع راية الكرش — وهي راية مرسوم عليها شخص عادي ولكن كرشه متضاعف ثلاثة أضعاف — فوق مائدة الطعام. ليصل هو في النهاية ويمد يده بحسن نية ليسلم عليهن ولا يدري بعدها إلا والطعام في يده. يمكث في هذا المنزل يومًا أو اثنين كل مرة. يأكل فيها بست أيادٍ ليسوا له، ويقاوم باليدين الوحيدتين التي يملكهما. وهذه المرة لم يحترم منصور أي ميثاق شرف أو معاهدة حرب، فلقد زارهم في شهر رمضان.

وفي حديث معها بعد الإفطار وهو مُمسك بطبق من الحلويات الشرقية، سألها عن ميعاد موت أبيه. لاحظ في عينيها توترًا وترددًا كبيرين.

- لماذا تسأل هذا السؤال؟

- أريد أن أعرف متى مات. على الأقل أزور قبره كل سنة.. لقد دُفن جدي مع أبي في نفس المدفن. هل يصح أن أزور جدي ولا أزور أبي؟

اطمأنت خالته للفكرة وأخبرته:

- كنا سويًا يوم عيد ميلادك، وفي اليوم التالي اتصل جدك ليخبرنا أن أباك قد مات. وطلب مني السفر بك إلى الإسماعيلية لتجنب أمور الرعاية والملاجئ وما إلى ذلك.. عاد فأخذك بعدها بشهور لتعيشا سويًا".

استمر الحديث بعدها لفترة، تسأله عن درة. تسأله لماذا يبدو هزيلًا هكذا.. على الرغم من أنه قد تضاعف وزنه في ذلك اليوم. تسأله لماذا انتشر الشيب في شعره.. على الرغم من كونه شابًا. تسأله هل تُحضر له طبق قطائف؟

كان منصور في طريق العودة من الإسماعيلية وهو يتحدث مع درة في الهاتف.

- لقد عرفت الميعاد. ولكنني لن أسافر إليه هذه المرة. سأسافر هذه المرة قبل المرة الفائتة بشهر. يجب أن أعرف ماذا حدث في هذه المقابلة.

-ولماذا ذهبت إلى الإسماعيلية إذًا؟ ما دام السفر هذه المرة ليس لذلك الميعاد.

-كنت أفتقد خالتي وبنتي خالتي.. أنتِ تعلمين صلة الأرحام.

وما إن أغلق منصور الهاتف، حتى سأله رجل بجواره في تشكك:

-هل ستسافر للشهر الفائت؟

ضحك منصور ولم يرد.

مرت الأيام بعدها عادية غير جديرة بالوصف. نفس الأحداث، نفس مشاكسات منصور مع درة. كان منصور في انتظار يوم الثاني عشر من يوليو ليسافر. وقد كان بعد رابع أيام عيد الفطر بثلاثة أيام.. حتى جاء ذلك اليوم أخيرًا. اتصلت به درة:

- كنت على وشك الاتصال بكِ.

-هل ستسافر الآن؟

- نعم.

- حفظك الله، وأعادك بالسلامة.. لقد كونت نظرية عن سؤالك السابق.

- أيهم؟

- ذلك الذي يتعلق بالرافعة، لماذا بعد أن صعد بها عبد الرحمن أنزلها مرة أخرى.

- وما تحليلك يا أجاثا كريستي؟

تجاهلت ملحوظته الساخرة لتكمل:

- لقد أراد أن يقتنع الضابط أن صوت المحرك هو صوت سيارة جاءت ذهابًا وإيابًا، وعندما يستخدمه ثانية للنزول، سيرفعه وينزل مرة أخرى.. أي أن الضابط سيظن أن سيارة أخرى مرت ولن يهتم.

- لست مقتنعًا، يبدو خياليًا بعض الشيء.. سنتفاهم عندما نتقابل.

- بإذن الله، لا تتدخل في شيء، فقط شاهد من بعيد.. حافظ على نفسك من أجلي.

- سأفعل.. سأفتقدك لثلاثة أيام.

- وسأفتقدك بعد بضع ثوانٍ.. أحبك.

لم يتفاجأ بها هذه المرة، فلقد استطاع أن يستخلصها منها أكثر من مرة، حتى أصبحت تقولها متطوعة.

"لا يفصلهما عن الزواج سوى بضعة أشهر"

هكذا قال، وهكذا اقتنعت.

التاريخ الحالي	التاريخ السابق	الجرعة المطلوبة
٢٠١٦/٣/٣٠	٢٠٠٣/٣/٣٠	٢٦ ميللي
٢٠١٦/٤/٣٠	٢٠٠٣/٤/١٢	٢٦,١ ميللي
٢٠١٦/٦/١٢	٢٠٠٣/٦/١٢	٢٦ ميللي
٢٠١٦/٧/١٢	٢٠٠٣/٥/١٢	٢٦,٣٣ ميللي

وقف أمام سبورته مرة أخرى مُمسكًا بزجاجة الماء المخلوطة بالمحلول. كان قلقًا لأن العملية الحسابية هذه المرة أكثر تعقيدًا وكان يجب أن يأخذ كسورًا من الميللي. لم يستطع أخذها بالدقة المطلوبة. ولكن على أي حال مسك زجاجته ونزل إلى عتبة المسجد.

قال: بسم الله. ثم رفعها إلى فمه.

****

(١٢)

لقد أصاب منصور عندما كان قلقًا. لقد أخذ جرعته كي يصل يوم الثاني عشر من مايو عام ألفين وثلاثة ولكنه وصل في العاشر من مايو لنفس العام. خرج متأففًا لا يدري ماذا يفعل. وجد قدميه تسوقانه ناحية الجريدة ككل مرة، صعد ليجد أباه جالسًا مع بعض زملاء عمله، لقد كان الأمر مملًا. ذهب إلى مديرية الأمن ليجد الضابط يحقق في جريمة سرقة سيارات، وما يهمه في سرقة السيارات. الحياة عادية أكثر مما ينبغي. قضى يومه الأول في التنزه بدون أي أفعال تذكر سوى حضور فيلم "التجربة الدنماركية" في السينما. وعلى الرغم من كونه قد شاهده أكثر من مرة، إلا أن الأمر كان مختلفًا وهو حاضرٌ وسط الجماهير. لقد كانت تجربة ستحسده عليها درة بالتأكيد.

في اليوم الثاني وكان يوم الأحد، ذهب إلى الجريدة فوجد أباه يعمل. ذهب بعدها إلى المديرية ووجد عمر قد حل جريمة سرقة السيارات. عاد إلى المسجد ومكث فيه إلى العشاء. ثم ذهب للتنزه

قليلًا بعدما أصابته خيبة الأمل نتيجة تضييع اليومين بهذه الصورة. ثم طرأت في ذهنه فكرة، لماذا لا يذهب ويرى مكتبته. على ما يذكر لقد كانت مكتبة حتى قبل أن يشتريها جده، فلماذا لا يذهب ليراها. لحسن الحظ وجدها مفتوحة في تلك الساعة ووجد فتاة تعمل بها. لم تكن نوعية الكتب مختلفة بقدر كبير، فقد كانت معظمها روايات كما هو الحال الآن ولكن الأسماء هي ما تغيرت فقط. فمن الواضح أن الأدب القديم كان طاغيًا في ذلك الوقت، وكتب دكتور مصطفى محمود. لاحظ احتفاءً كبيرًا بالمجلات. أما عن شكل المكتبة فلم يتغير، نفس وضع الأرفف وطريقة العرض. حتى لون الحائط لقد كان نفس اللون إلى أن غير منصور كل هذا في تجديداته عندما تولى المكتبة.

استغل منصور انشغال الفتاة مع أحد المشتريين فأخرج مفتاحًا، وأخذ ينحت في ركن الحائط شيئًا ما. ثم انصرف بعدها.

شعر منصور بخيبة أمل بعد ضياع يومين دون مبرر. استراح ليلته تلك لأنه يعلم أن الغد مليء بالمفاجآت. فاليوم تم إرسال الرسالة الأولى لعمر، وقد كان فيها ما أغضب أباه وجعله يقسم على قتله، وذلك ما نفذه بعدها بشهر كما رأى منصور. استيقظ مع أذان الفجر في المسجد، صلى مع المصلين وخرج بعدهم. ذهب رأسًا إلى مكتب عمر في مديرية الأمن، لأنه علم أن الرسالة ستصله هو. وصل منصور

مبكرًا وكانت الحركة عادية ولم يحدث شيئًا مميزًا. حتى إن عمر لم يصل حتى العاشرة صباحًا. وصل عمر متأخرًا، لا يُعاني من ضغط العمل هذه الفترة فقد أغلق قضية سرقة السيارات الأمس، وهو متفرغ بعض الشيء الآن. استدعى عمر العامل وطلب منه قهوته الصباحية. دخل العامل بعدها بدقائق ومعه القهوة مبتسمًا:

- صباح الخير يا سعادة الباشا.

رد عليه عمر التحية، وانتظر منصور أن يقاطعه العامل ويخبره بأن أحدهم قد ترك له هذه الرسالة أمس، ويناوله بعدها رسالة عبد الرحمن سمير تلك. فيشخص نظر عمر بعد قراءة سطرين منها ويصيح به: "هل رأيته؟ هل هذا نفس الشخص؟" وهو يُريه صورة عبد الرحمن. ولكن كل هذا لم يحدث، لقد غادر العامل في سلام، مما أصاب منصور بخيبة أمل. بعدها بثوانٍ، دوى صوت خفيف، كصوت طرقعة خفيفة. تفاجأ به منصور ولولا وقوف عمر فجأة ليبحث عن مصدر ذلك الصوت لافترض منصور أنه هيؤ.

بحث عمر على الأرض وتحت المكتب وعند الطاولة، وخلف الأريكة، حتى إنه قد تجرأ وحرك الصورة الموجودة فوق مكتبه مباشرة. كل هذا ومنصور يتابعه بنظره، قد يكون عبد الرحمن قد ألقى الرسالة

من النافذة المفتوحة ولكن أين. مرت دقائق، حتى التفت عمر إلى لوح التصويب الدائري ليرى في مركزه سهمًا ملفوفًا بورقة، لقد أصاب عبد الرحمن الهدف.

لم يستطع منصور قراءة الرسالة مع عمر على الرغم من أن عمر قد قرأها عشر مرات على الأقل. ولكن كأنه كان يعلم أن منصور موجود.. ففي كل المرات التي توقف لقراءتها لم يقف في زاوية تُتيح لمنصور أن يرى المكتوب من خلفه.

وصل سليم بعد فترة بعدما طلب عمر مقابلته قائلًا إن الأمر له علاقة بإسلام ــ رحمه الله ــ. لقد بدا في هذه المكالمة لطيفًا بشكل زائد، على الرغم من حماسه المختلط بالغضب. لقد تجرأ عبد الرحمن وأطلق رصاصة على مكتبي.. لم تكن رصاصة ولكن كان بوسعه أن يستخدم رصاصة بدلًا من ذلك السهم.. كان بوسعه أن يقتله إذا أراد. رحّب عمر بسليم ساخرًا:

- أهلًا بالُمنتقم.. لقد أخذت حقًا بثأر إسلام.

- هل دعوتني لتتهمني بتحريض الجراح على قتل الأعسر مجددًا؟

- إننا نعلم سويًا أنك فعلت ذلك ولا يوجد أحد غيرنا لتُنكر ــ أظن أن عمر مدين لمنصور باعتذار ــ ولكن على أي حال لقد دعوتك لأمر آخر.

استطرد بعدها عمر في الحديث مستلذًا بتغير تعبيرات سليم. متوقفًا كلما أحس بتشوق سليم ليكمل حديثه.

- لقد وصلتني اليوم رسالة من سمير كما تدعونه في الصحافة. لا يهم كيفية وصولها قدر ما يهم محتواها. دعني أقرأها عليك:

"حضرة الضابط.. كيف حالك؟ أود في البداية أن أعتذر عن طريقة إرسالي هذه الرسالة لك. ولكني أرسلتها بالطريقة الوحيدة التي أجيدها.

نحن مشتركون في لعبة معًا، لعبة أكثر تعقيدًا مما تبدو. فأنا وأنت وسليم نسعى إلى نفس الهدف، نريد أن نثبت أننا أبرع مما نبدو، أكثر وفاءً لما نتبنى من مبادئ وأعظم أثرًا بين الناس.

ولكن كما قالوا سابقًا.. إذا أردت أن تضحك من الأحدب، فيجب أن تسير منتصبًا. نسير في طريق مُقسم إلى ثلاث حارات متوازية.. لا يُمكن أن تتقاطع سُبلنا ولكننا نسير إلى نِفس الهدف. إشباع رغبة ما. سليم يريد إشباع رغبة الانتقام، وأنت تريد إشباع رغبة الفخر وتقدير الذات.. أما أنا ففقط أريد إشباع رغبة الشعور بالذكاء والتفوق على الآخرين. الأمر ممتع صدقني، كلما تفوقت عليكما شعرت بتلك.. التي يسمونها النشوة.

لا أرى مُشكلة فيما أفعل لأحصل على نشوتي الخاصة. قالها لي أبي مرة "لا يدري السكير بعار الخمر، ولا يدري تاركها بسلطانها". نعم لقد كان أبي مُدمنًا عليها.

بالطبع أهنئك على قتل أحدهما والقبض على الآخر. في الحقيقة.. الأعسر كان غبيًا ويجب قتله منذ زمن، هذا الرجل عار على كل قاتل محترف. ولكن الجراح كان النقيض، كان ذكيًا وماهرًا.. لقد حاول أن يعبر حارته لي.. لقد أراد أن يأخذ الطريق كله. لذلك افتعلت كل تلك القصة لأجعلكم في أثره. أرسلت معلومات الجراح لإسلام كمجهول، تركته ليتأكد منها. انتظرت حتى أعلن عن ميعاد نشر المعلومات ثم قتلته بأسلوب الجراح كي أترككما في أثره. لقد أثبتت وجهة نظري عندما فعل سليم ذلك، كلنا في نفس الطريق. لقد فعلها ذلك الشيطان أفضل مما يجب.

كي لا أطيل عليك. لعبتنا لها قاعدتان. الأولى: كلما حاول أحدكم أن يقاطع طريقي ستكون هناك ضحايا. أما الثانية: طالما أنا بالخارج فأنا الفائز".

أنهى عمر حديثه متلذذًا بالنظرة المرسومة على وجه سليم:

- انتقام رائع يا سليم.. ولكن من الشخص الخطأ.. لقد قضيت على كل منافسيه بغبائك.

كان الكلام مطبوعًا على ورقة بيضاء، لذلك لم يستطع إجراء تحليل للخط أو أي شيء. لن تكون هذه الرسالة رسمية بأي شكل. لذا فضّل كتمان الأمر. وأثناء قراءة عمر للرسالة تبدل وجه سليم بالتدريج.. فقد بدأ بابتسامة، ثم انطفأت تلك الابتسامة، ليبدأ الوجوم، ثم تبدلت نظرة عينيه إلى غضب مكتوم. وفي النهاية تفجر ذلك الغضب:

-سأقتله.. سأقتله وإن كانت نهايتي.. إن كان يريد اللعب فلنلعب.. سأقتله وبأسلوبه.. سأقتله.

غادر بعدها سليم المكتب دون استئذان، وعلى الرغم من أن عمر قد استشاط من استهزاء عبد الرحمن منه، وإرساله الرسالة بتلك الطريقة التي تحوي تهديدًا باطنيًا فيها. لكن أكثر ما أغضبه عجزه عن كشف تلك الخدعة لولا رسالة عبد الرحمن لهما.

كان رد فعل منصور مختلفًا عنهما، حيث اتخذ من أحد الكراسي ملجئًا وقد رفض عقله أن يعمل. لقد ألجمته الصدمة حرفيًا.

❋❋❋❋

(١٣)

رجع منصور بعدما قضى يومًا إضافيًا على الثلاثة أيام التي كان ينتظرها. لقد طالت المدة مرة أخرى. أصبح في حاضره، الذي قد كان مستقبله البعيد منذ لحظات. رد على هاتفه ليجد درة تحمد الله على سلامته وتسأله عما حدث، لقد كانت متشوقة، وقد خاب أملها عندما لم تستوعب ما أخبرها به في الهاتف. وانتظرت أن يشرح لها الأمر أكثر في مقابلتهما القادمة.

شرح لها ولم تفهم، شرح بطريقة أخرى وفهمت.. ولكنها لم تقتنع أن ما فهمته صحيحًا، فشرح مرة ثالثة؛ وعندما أيقنت من أن ما فهمته صحيحًا لم تختلف ردة فعلها عن ردة فعل منصور. فقد جلست واجمة لبعض الوقت كأنها تستوعب ما حدث.. ثم خرجت منها الكلمات بطيئة:

- إذا استمر الأمر بتلك الكيفية ستفقد عقلك قريبًا.

أقنعها وقتها أنه تبقت له مرة واحدة. لقد قُتل والده في منتصف شهر ديسمبر، لأن عيد مولده يسبق ذلك بيوم واحد. لذا سيسافر إلى قبل هذا اليوم بيومين منذ ثلاثة عشر عامًا. ولتبسيط العملية الحسابية للجرعة المطلوبة، وليتلافى أخطاء الوقت الحادثة في المرة السابقة سينتظر لأن يكونا يومي الحاضر والماضي متوازيين. أي أنه سيسافر يوم الثالث عشر من ديسمبر، أي قبل زواجهما بأسابيع قليلة.

واستأذن منصور من درة لتقف في المكتبة ساعتين، حيث سيذهب إلى طبيب ليفحص عينيه؛ فهما تؤلمانه منذ عودته. بالطبع استمتع منصور قليلًا بقلقها، حتى أحس منها الخوف فبدأ طمأنتها بأنه يسير في الشمس مسيرة ثلاثة أيام متتالية في الماضي في لحظة واحدة في الحاضر، وقد لا تتحمل عيناه ذلك. وعلى الرغم من حجته الواهية تلك إلا أنها اقتنعت ودعت له بالسلامة.

وصل إلى الطبيب الذي كان جاره منذ فترة، قبل أن يترك ذلك الحي وينتقل إلى تلك المنطقة الراقية في طرف القاهرة. فحص عينيه بعد سلام وترحاب دام طويلًا.

"لا مشكلة بعينيك، فقط ضعف نظر معتاد وسنعمل على كشف لقياسات نظارة. والألم الذي تشعر به لأنك أهملت ذلك لفترة

طويلة".. هكذا قال الطبيب. تعجب منصور الذي طالما تباهى بحدة نظره، ثم إنه لم يهملها لفترة طويلة، آلمته عيناه فجاء مباشرة للطبيب.

ها قد عاد إلى مكتبته بعد ساعة ونصف مرتديًا نظارة. لقد أقسم الطبيب على أن يتكلف بتلك النظارة وعدساتها في معمله الخاص، وأجرى هاتفًا لتحضر إحداهن بعدد من النظارات ليختار منها واحدة.. ثم هاتفًا آخر لتحضر إحداهن بعد نصف ساعة بالعدسات المطلوبة. وها قد ارتدى منصور النظارة.

شاعرًا بالخجل اللامبرر ابتسم لدرة، التي ظنت طويلًا أنها مُزحة من منصور. لا يمكن أن ترتدي نظارة في ساعة ونصف. ولكن على أي حال كانت نظارة ذات ذراعين أسودين كجانبي رأسه. بينما يتصلان من الأمام بحاملي عدسات لونهما أبيض كالشيب الذي انتشر في باقي رأسه.

توقف في وسط حديثه معها كأنه قد تذكّر شيئًا، ثم ذهب إلى ركن المكتبة الخلفي، أزاح حاملًا للكتب وضعه هناك بعد تجديد المكتبة. وأخرج مفاتيحه وأخذ يخدش في الحائط ليُسقط الطلاء الذي سرعان ما تساقط، ودرة تطلب منه أن يتوقف لا لشيء سوى أن صوت الاحتكاك يسبب لها القشعريرة. بعد فترة ظهر الطلاء القديم من أسفل

ذلك الطلاء. نادى منصور درة، وأمسك يدها لأول مرة، حاولت جذب يدها منه، ولكنه تحسس بيدها نقشًا غائرًا في الحائط قائلًا:

- الآن يمكنني القول بأني أحببتك قبل أن أراكِ. عمر هذا النقش أكثر من ثلاث عشرة سنة.

رجعت درة إلى مقعدها خجلة، وتحرك منصور من أمام النقش ليظهر اسمها متبوعًا بنقشٍ لقلب صغير.

مرت الأيام بعد ذلك أثقل على كاهلي منصور. فهو مشتت بين تجديد الشقة والأثاث استعدادًا للزواج. وقد كان أمرًا شاقًا، حيث يستيقظ صباحًا وينتظر العمال للوصول ويتابعهم بعض الوقت. ثم يغادر للبحث عن وظيفة تتناسب مع شهادته. بحث في البنوك الأجنبية، ثم البنوك القومية، وبعدها الشركات المشهورة، ثم صغار الشركات. أجرى العديد من المقابلات، نجح في بعضها ورسب في معظمها. ثم يعود ليُراجع ما فعله العمال في الشقة، وبالطبع في وسط ذلك كان يجب أن يتابع مكتبته التي تولى أمرها شاب مقابل أجر في تلك الشهور.

ومع بداية شهر نوفمبر استقر الوضع بصورة كبيرة. أنهى العمال الشقة تقريبًا، وقد اتفق منصور مع تاجر الأثاث.. وهو في انتظار

اقتراب ليلة الزفاف لنقل الأثاث قبلها، وكذلك استقر في شركة ناشئة في فريق الحسابات الخاص بها. كان راتبه متوسطًا ولكنه سيتضاعف مع نهاية العام، أو كذلك وعدوه.

****

(١٤)

لا أحتاج أن أصفه مرة أخرى يقف أمام سبورته ويراجع الجرعة.. ولن أصف ما تحدثا فيه بالهاتف قبل أن يهم بالنزول، نظرة سريعة على السبورة:

التاريخ الحالي	التاريخ السابق	الجرعة المطلوبة
٢٠١٦/٣/٣٠	٢٠٠٣/٣/٣٠	٢٦ ميللي
٢٠١٦/٤/٣٠	٢٠٠٣/٤/١٢	٢٦,١ ميللي
٢٠١٦/٦/١٢	٢٠٠٣/٦/١٢	٢٦ ميللي
٢٠١٦/٧/١٢	٢٠٠٣/٥/١٢	٢٦,٣٣ ميللي
٢٠١٦/١٢/١٣	٢٠٠٣/١٢/١٣	٢٦ ميللي

وبالطبع لن أصف صوته الهامس:

"بسم الله".. ثم شربه لزجاجة الماء.

وصل يوم الأحد الرابع عشر من ديسمبر في العام الثالث من الألفية الجديدة. وصل أمام المسجد، وكانت المنطقة قد تغيرت في تلك الشهور الخمس تغيرًا ملحوظًا. معظم المنازل التي شاهدها في المرات الفائتة وكانت لا تزال في مراحل البناء، هذه المرة كانوا قد انتهوا منها. ومعظم الأراضي التي رآها فارغة في المرات السابقة، كانت هذه المرة في مراحل البناء. رفع نظره إلى شقته ليجدها موجودة، وواجهتها مدهونة بنفس الطلاء التي لا تزال عليه لثلاث عشرة سنة بعد الآن. كان من الواضح أنه لا حياة فيها، ولكن هذا لا يمنع أنه ستكون قريبًا بعد أن يموت أبوه ويكتنفه جده فيها.

على الرغم من أنه قد سافر بضع مرات، إلا أن هذه المرة كانت مختلفة. كان يرى كل شيء كأنما يراه أول مرة. كان يُشبع النظر في كل شيء كأنها أول مرة. لا أعلم إن كان ذلك لعلمه بأنها المرة الأخيرة، فحاول تعويض ذلك بأكبر قدر من الذكريات. أم أنه يعلم أن هذه الزيارة ستنتهي برؤيته لأبيه مقتولًا، وبالرغم من علمه بذلك إلا أن الأمر مختلف بين أن يعلم وأن يرى. لقد حذرته درة من أن يرى ذلك بعينيه، وكان شيئًا بداخله يطلب منه الرضوخ لرغبتها، ولكن ها هو قبل ذلك بثلاثة عشر عامًا يدخل الجريدة التي يعمل بها أبوه. فتّش عنه في مكتبه، وفي تجمعات الموظفين ثم دخل مكتب رئيس مجلس

الإدارة ليجده فارغًا. تأمله بضع ثوانٍ.. لم يختلف شيئًا عن المرة الفائتة تقريبًا. فقط تغير الاسم المكتوب على اللافتة النحاسية الموجودة على المكتب.. بدلًا من "ياسمين علاء" أصبح "سليم الرحّال".. على أن جملة "رئيس مجلس الإدارة" ظلت كما هي.

وصل إلى مديرية الأمن بعدها، وقد تحول شعوره بمجرد رؤية عمر من فخره بوالده الذي أصبح رئيسًا لمجلس إدارة الجريدة، إلى الكراهية.. ها هو ينظر إلى قاتل أبيه. غدًا سيقتله. كان عمر جالسًا وقد اختلف فيه شيئًا عن المرة الفائتة، لا أقصد زيادة وزنه، ولا عدم اهتمامه بمظهره كما سبق بل تلك النظرة في عينيه، لقد أصبحت خالية من أي تعبير، انطفأ فيها حماسها، أثار ذلك خليطًا من الكراهية والتعاطف. خرج منصور مهمومًا. يعلم أنه منذ قليل جلس في مواجهة عينين قد شرد صاحبهما في التخطيط لقتل أبيه.

رجع إلى منطقته، جلس على ذلك المقهى الذي طالما عرف منه تاريخ اليوم بعد وصوله. جلس إلى أحدهم وقد جاوز عامه الستين مُمسكًا بجريدة، أخذ يحاوره كأنه يسمعه:

- هل تعلم أن أبي سيموت بعد الغد.. حياتك الباقية.. ولكن هل تعلم أن بعد الغد كان من ثلاثة عشر عامًا؟ الأمر معقد بعض الشيء.. لن أطيل عليك.

وهمّ بالوقوف لولا أن استوقفه صوت الشيخ صائحًا:

- الأستاذ سليم سيبيع الشقة.

ليرد أحدهم:

- من أخبرك بذلك؟

- إعلان الجريدة أمامي، وهل تعلمون كم يطلب ثمنًا لها؟ ربع مليون جنيه.

وسط استهجان البعض من السعر المبالغ فيه، رد عليه عامل المقهى:

- بالطبع سيغادر بعدما فتح الله عليه بتلك الجريدة، لقد مرضت رئيستها ولم يجدوا سواه يديرها.. أظنه سيسكن في المهندسين. لقد سمعت ذلك من أحد السماسرة الذي طلب منهم أن يبحثوا له عن فيلا خاصة.

وقف وسطهم وهو يعلم أن أكثر من نصف كلام العامل كذب.. فهو بالطبع لن يستطيع أن يطلب فيلا خاصة في المهندسين فقط لأنه رئيس جريدة.. الأمر ليس مربحًا بتلك الدرجة. كان يعلم كذلك أن أباه سيموت قبل أن يتمم صفقة بيع الشقة تلك.. وإلا ما كان لمنصور أن يعيش بها بعد ثلاثة عشر عامًا من الآن.

مرّ ذلك اليوم بسلام بعد أن فضّل منصور النوم في مكانه المعتاد في ركن المسجد على أن يصعد شقته، فهو لا يريد وحدة في الماضي أيضًا. ومع اقتراب أجل أبيه تفاجأ أنه قد مر ثلاثة عشر عامًا وهو مقصر في حقه، لم يدعُ له بالقدر الكافي، لم يزر قبره من قبل. لذا قضى يومه الأخير قبل موت أبيه في قراءة القرآن في المسجد والدعاء له، ولم ينتو الخروج منه إلى فجر اليوم المنشود. وبينما هو جالس في ركنه، توقف قليلًا عن القراءة مستمعًا لأذان العشاء، وإذا بسليم يدخل المسجد، لم يفهم منصور لماذا انتفض رعبًا. ولا يدري لماذا جرى نحوه ليتوقف أمامه بخطوات. سقطت دموع منصور وهو ينظر لأبيه وهو يصلي تحية المسجد. كان يبدو على أبيه أن عمره قد ازداد عشرين عامًا عما رآه منذ خمسة شهور. لقد ابيضّ شعره، وظهرت تجاعيد خفيفة أسفل عينيه. لا يعلم أهذا من مسؤولية الجريدة، أم بسبب تأنيب ضميره بعد قتل سمير، لم يعرف السبب وقتها، ولكن عرفه لاحقًا.

انتصف شهر ديسمبر مع منتصف ليل ذلك اليوم، وجاء يوم اليقين، اليوم الذي ينهي تلك المغامرة، اليوم الذي يودع فيه أباه. نستطيع أن نقول: "لقد جاء اليوم الفارق في حياة منصور".

خرج مبكرًا ذلك اليوم، ووصل إلى مكتب الجريدة في السابعة

تقريبًا. وجد بعض الموظفين ولم يأت والده بعد. بدأ في انتظاره إلى ما بعد الثامنة بقليل.. حتى راوده خاطر جعله ينتفض من مقعده؛ ماذا إن قتله عمر في مكان آخر غير الجريدة.. سيفوته وقتها كل شيء. سيكون قد ضيع تلك الزيارة، وذلك الضغط العصبي في اللاشيء. لذلك رأى الحل الأسلم أن يرافق قاتل أبيه، وأينما ذهب، يذهب معه حتى النهاية.

وصل إلى المديرية قاصدًا مكتب عمر، وجده جالسًا وتلك النظرة في عينيه لم تتغير. جلس أمامه داعيًا ألا يكون قد نفذ ما في ذهنه وألا يكون قد وصل متأخرًا. جلس منصور على أريكته، وألقى نظرة على الساعة ليعلم أنها التاسعة والنصف. مرت الدقائق ثقال عليه، بدا وكأن عمر لن يتحرك أبدًا. راودته وقتها فكرة، ماذا إن لم يقتله عمر مباشرة؟ أي أنه قد وضع له قنبلة في السيارة مثلًا، أو استأجر أحدهم لقتله. ماذا إن قتله دون أن يغادر؟ تملكت منه تلك الفكرة، فرأى من الأسلم نقيض ما رآه منذ قليل. رجع إلى مكتب أبيه وهو يعلم أنه قد أخذ قرارًا خاطئًا.. بل أخذ قرارين متناقضين.. أحدهما بالذهاب إلى مكتب عمر، والآخر بالرجوع إلى الجريدة. ولا يمكن أن يكون القراران متناقضين وكلاهما صحيح. هناك خطأ فيما فعله..

عاد إلى الجريدة، لم ينتظر أن يدخل أحدهم إلى مكتب أبيه لينسل

معه، بل فتح الباب الذي كان مواربًا ودخل، وجد أباه وقد ارتدى بذلة رسمية سوداء، يجلس على مكتبه بوقار متحدثًا في الهاتف. اختلط فرحه بأنه استطاع رؤيته، بحزنه لما يعلم أنه سيراه بعد لحظات.

تحرك منصور إلى ركن الغرفة بعد أن دخل أحدهم كي لا يعترض حركته، وتحدث الشاب الوافد:

- أسامة علي، حضرتك اتصلت بي بشأن تحقيق عقارات بني سويف.

- مهندس أسامة؛ أهلًا بك.. أشكرك لقطع تلك المسافة لتقابلني.

كان سليم قد خرج من خلف المكتب وقتها ليصافحه. جلس منصور على الكرسي المقابل للمكتب، ووقف خلفه سليم ليطلب في الهاتف قهوة للضيف. ثم حدث عدد من الأحداث التي يعجزني وصفها، فقد فصل بينها أجزاء من الثانية.

تهشم زجاج الواجهة الزجاجية.. سقط سليم أرضًا.. انتفض أسامة من على كرسيه واقفًا ليسقط بعدها.. فتح عمر باب المكتب.

"لقد أصيب أحدهم برصاصة في ركبته اليسرى، وفقد الوعي الآن، والثاني أصيب برصاصة في مؤخرة رأسه، أظنه قد مات".

كان ذلك ما صاح به عمر في الهاتف للإسعاف التي استدعاها مسبقًا واصفًا ما حدث، بينما وقف منصور لا يفهم.. مات أسامة. وأبوه في حالة صدمة ونزف كمًا كبيرًا من الدماء.. هل هذا ما سيقتله؟ شلته المفاجأة عن أن يتبع أباه إلى سيارة الإسعاف. بينما سار عمر على الزجاج المتهشم إلى أن وقف على الحافة ناظرًا إلى الأفق.. ثم صاح بطريقة هيستيرية: "كيف سبقني؟".

أفاق منصور إثر هذه الصيحة وهو واقف خلفه ويديه ممدودتين وكاد أن يدفعه إلى الشارع..

"لست مثلكم"..

قالها منصور وخرج من المكتب.

****

(١٥)

وصل إلى المستشفى في سيارة أحد موظفي الجريدة. انضم الموظف إلى عدد آخر من الموظفين المحتجين على عدم السماح لهم بالدخول. بينما انسل منصور للداخل بسهولة. وقف تائهًا لا يعلم أين أبوه أو جثمانه، وجد بعدها عمر سائرًا أمامه ليتبعه، فهم منصور أن عمر قد فشل في قتله أول مرة فتبعه إلى هنا ليكمل مهمته..

دخل عمر على سليم المستلقي على سريرٍ وتقف بجواره ممرضة، أشار عمر بيده أنه ضابط وسألها عن الحالة لتخبره بأن الرصاصة قد أصابته وخرجت من ركبته مسببة انقطاع في الغضروف وكسر في العظام، وقد نزف كثيرًا جراء ذلك.. لذلك انتظروا نقل بعض الدم، وإفاقته من الصدمة.. وسيجرون له عملية بعدها.. ولكن لا خطر على حياته الآن لحسن الحظ.. أمرها عمر بالخروج فخرجت دون اعتراض.

وقف بعدها عمر على رأس سليم الذي فتح عينيه في تعب ونطق تلك الكلمة بجهد:

- كيف؟

- إنه سمير، لقد خدعنا.

توقف عقل منصور على احتمالين لا تفسير لهما، الأول أن يكون عمر كاذبًا وقد استأجر من يقتل سليم في المكتب، وتواجد في نفس الوقت في المكتب لتكون حجة غياب، وأنه سيقتله الآن.. ولكن ما السبب في أن يكذب على رجل ميت؟

أما الثاني فهو أن عمر صادق.. وهذا الاحتمال ليس له تفسير حقًا؛ لأن سمير قد قُتل منذ شهور أمام أعين عمر ومنصور. انتبه من شروده على عمر يقرأ على سليم رسالة وصلته من سمير. وقد تبدلت ملامح سليم، ليحل الاهتمام محل الألم.

" حضرة الضابط.. كيف حالك مجددًا؟

لقد راقبتك عدة مرات منذ موتي، وللأسف خيبت ظني؛ لم تدعُ لي بالرحمة مرة واحدة.

أعلم أنك بالذكاء الكافي لتقدر ذكاء خصمك، ومع ذلك قللت من ذكائي وظننت أنك ستنالني بتلك السهولة.

أعلم أيضًا أنك تفكر في كيفية عودتي للحياة، لقد قُتلت أمام عينيك. ولكن ها أنا ذا مرة أخرى.

التفسير حقيقةً لن تسعه هذه الرسالة، ولكني سأحاول تلخيص مجهود سنوات في أسطر قليلة. أنا وسمير شخصان مختلفان، أوهمتك أنهما أنا. سمير كان الشخص المثالي ليكون أنا. محطم، مطلق، ذكي، والأهم من ذلك قناص. بعد مخدر بسيط في كأس صغير أصبح ضيفي لسنين. رهينتي إذا أردت الدقة، فلقد حُبس كل تلك المدة واستخدمته ليكون واجهتي. كنت أترك بصماته، كوب الشاي الخاص به. كل ما أريد. وأنت تصدق أنه القاتل. وعندما أردت أجازة دون ملاحقة الشرطة، قتلته أمام عينيك لتكون شاهدًا على نهايتي.

يا عزيزي أخبرتك أنه إذا تقاطعت طرقنا، فهناك دائمًا ضحية ستسقط. وأنت حاولت عبور ذلك الفاصل بين حارتينا ولذلك سقط سمير.. لا تقسو على نفسك، ما كان لك أن تتوقع ذلك. كيف تتوقعه وأنت تقلل مني وتراني مجرمًا يسعى خلف المال فقط.. لم تفهم عيبي الأكبر.. وهو أنني أستمتع بما أفعل.

بالمناسبة، هل تريد أن أرسل تحياتك إلى صديقنا القديم؟ فقد لا تستطيع أن تفعل ذلك بعد الآن. لقد أغضب أحدهم بالفعل بتحقيقاته تلك. رفضت العرض في البداية، ولكن عرضًا جديدًا بمئتين وخمسين ألفًا كان كافيًا لأغير رأيي.

في التحقيق القادم أنا ج ولست سمير..

تحياتي

ج"

تقلص وجه منصور مما سمعه حتى بدا كعلامة تعجب. حاول أن يهضم تلك المعلومات بتبسيطها في عقله؛ سمير كان حبيسًا لدى ج (كما أطلق على نفسه) كل هذه السنوات، الذي استغل بصماته ومتعلقاته الشخصية ليتركها كدلائل على أنه القاتل. وعندما أراد أن يستريح من ملاحقة الشرطة له، ببساطة قتل سمير، وبالتالي لن تبحث الشرطة عن شخص ميت. لحظة.. لقد قتل ج سمير أي أن أبي لم يقتله. فرح لحظتها ناسيًا ما يعلم أنه سيحدث ذلك اليوم من موت أبيه. فكما أكدت خالته أنه قد مات في هذا اليوم بالذات. هل سيموت في العملية الجراحية؟ أم أن ج سيعود ليُنهي عمله. غادر عمر بعد أن طلب منه الطبيب ذلك، بينما عزم منصور على ملازمة أبيه حتى في غرفة العمليات، هو لا يعلم ماذا سيحدث.. ولكن يجب أن يعلم.

أتت الطبيبة بسرير لنقل سليم إلى الغرفة ولكنه رفض متعللًا بالتشاؤم وأنه يريد عكازًا يستند إليه حتى غرفة العمليات، بالطبع

وافقت فالمريض الذي يدخل المستشفى بأصدقاء كعمر يطيعه الجميع.
وكذلك طلب منها أن تستدعي عمر ليخبره شيئًا قبل دخوله العملية.
وبمجرد مغادرتها.. غادر سليم المستشفى من الناحية الأخرى، بساقٍ
مضمدة، مستندًا على عكازه.. وبالطبع يتبعه منصور الذي لم
يستوعب سبب مغادرة أبيه بتلك الطريقة.

ركبا سيارة أجرة ليصلا إلى عيادة د. محمود ذكي في المعادي.
كان الطبيب صديقًا لسليم. نصحه بالعودة إلى المستشفى ليجروا له
العملية معللًا بأنه لا تتوافر في عيادته ما تحتاجه العملية من أدوات،
ومهما فعل في ضوء إمكانيات العيادة فإنه سيترك أثرًا على ركبة سليم
وستصبح مشيته عرجاء طوال العمر. ولكن تحت ضغط من سليم لم
يجد الطبيب إلا أن يجري العملية.

نام سليم ليلته تلك على سرير المرضى في العيادة، بينما نام منصور
على كرسي الطبيب.. لم تكن ليلة مريحة كتلك التي يقضيها في
المسجد، ولكنه حمد الله فوالده حي رغم انقضاء اليوم.

عاد الطبيب في اليوم التالي.. وهو اليوم الثالث لمنصور في هذا
الزمن، ليجد سليم قد أفاق وتحسنت حالته..

- شكرًا لك يا دكتور محمود.

- لا شكر على واجب. لطالما كنت موجودًا إذا احتجتك، ولكن كما أخبرتك يجب أن تستريح وألا تمشي كثيرًا هذه الفترة.. وإن مشيت، يجب أن تستعمل عكازًا.

قالها وهو يناوله، عصا خشبية بيد مزخرفة مُتبعًا: "هذه هدية". تناولها سليم شاكرًا مبتسمًا.. وهمّ بالمغادرة ثم توقف ليلتفت للطبيب قائلًا:

- طلبٌ أخير.. إذا زارك ابني منصور في يوم من الأيام ولو بعد سنوات طوال، هل يمكن أن تخبره شيئًا من أجلي؟ أخبره أننا نريد أن نتقابل في الأول من يناير عام ألفين وأربعة.. تذكر حتى وإن مرت سنوات على ذلك الميعاد.. أخبره أننا نريد أن نتقابل في ذلك الميعاد.. ولكن إن لم يزرك فلا تذهب أنت لتخبره.

وافق الطبيب في عدم فهم، بينما توقف منصور لحظة.. لقد علم أبي أنني سأسافر بالزمن. لقد طلب مقابلتي في تاريخ ما وإن مر عليه سنوات.. ليته يعلم أنني بجواره الآن. قالها في عقله الذي توقف عن التفكير، وإذا لم يتوقف فلماذا لم يفكر منصور في الكتابة أو نحت الحائط ليُعلم أباه أنه موجود، ولكن ـــ كما قلت ـــ لقد توقف عقله.

استأذن سليم الطبيب في مكالمة هاتفية، لكن الطبيب تـــردد بعض

الشيء خوفًا من أن تكون إصابة سليم نتيجة عمل غير قانوني وأن الشرطة تبحث عنه في ذلك الوقت. فهم سليم ذلك فأخبره أنه سيتصل بصديقه المُقدم عمر في أمر هام.. اطمأن الطبيب وغادر. وقف منصور بجانب أبيه في تلك اللحظة مستمعًا لما يقول:

- أهلًا حضرة الضابط.. أنا بخير لا تقلق.. غادرت لأن ج لا يترك عملًا غير منتهٍ، وسيبحث عني ففضلت أن أستبقه بخطوة.. أعلم أنك كنت تؤمن محيط المستشفى جيدًا ولكن الأمر لا يسلم.. ستعلم مكاني في الوقت المناسب ولكن الآن أريدك في أمر ما.. إذا زارك ابني أخبره أنني أريد مقابلته في اليوم الأول من عام ألفين وأربعة.. حتى وإن مرت سنوات على ذلك الميعاد.. هو سيفهم لا تقلق، ولكن لا تخبره إلا إذا سألك.. أعلم أن الأمر يبدو غريبًا ولكن ثق بي.. أشكرك يا سيادة المُقدم.. أنا بخير لا تقلق.

وأغلق الهاتف.. ناظرًا في وجه منصور مباشرة.. "يجب أن يُكمل هو".

****

عاد منصور متبعًا والده إلى الجريدة، ورغم الفوضى وتساؤلات الموظفين، واطمئنانهم عليه وهو يكتفي بابتسامة وترديد "أنا أفضل الآن" متكئًا على عصاه.. وصل إلى مكتبه. أخرجَ من المكتبْ ملفًا كبيرًا يحتوي علي أكثر من مئتي ورقة على الأقل..

خرج منصور تابعًا والده مرة أخرى.. نظرة على ساعة الحائط وأدرك منصور أنه قد تبقى له اثنتا عشرة ساعة في هذا الزمن. غادرا سويًا وتوقف سليم أمام سلة مهملات في الشارع، وأخذ يقرأ الملف الموجود معه، بدأ يقرأ ويقطع بعض الأوراق ويلقيها في السلة أمامه، ويكتب في البعض الآخر، لقد استهلك ثلاث ساعات من الاثنتي عشرة ساعة المتبقية، ومنصور لا يستطيع مواكبته، حيث يقطع الأوراق بسرعة ويكتب بسرعة ويقلب الصفحات بسرعة، كأنه حفظ ما سيفعله قبلها، وفي نهاية الملف كان هناك بعض العملات الورقية التي حُفظت بعناية.. لم يتبينهم منصور لأن أباه استند إلى عكازه ووقف مشيرًا إلى سيارة أجرة ليصلا إلى المنزل أمام المسجد بعدها، دخلا الشقة ليقف سليم على المنضدة ويُخرج الخزانة المخبأة بأعلى المكتبة ويضع بها تلك العملات.. استنتج منصور أنها الجنيهات ذات الجملين.

جلس سليم بعدها على الأرض مستندًا بظهره إلى الحائط، ودموعه تسيل ومنصور لا يفهم.. ظل على حالته تلك حتى نام.

استيقظ سليم، ومنصور ينظر للساعة التي أشارت إلى ساعتين متبقيتين..

خرج سليم بعدها سريعًا بالرغم من إصابته واستناده إلى عكازه عابرًا الشوارع إلى عنوان يحفظه، دخل إحدى البنايات، صعد بالمصعد إلى الطابق الرابع ثم دخل أحد مراكز رسم الوشوم. انتظر منصور في ضيق.. لقد أضاع ذلك اليوم في توافه الأمور، بينما يتمتم سليم بعبارات قصيرة لم يتبين منها منصور سوى "يجب أن يُكمل".. "سيعلم، سأربيه على ذلك". مرت أكثر من ساعة ونصف وهما منتظران، حتى خرجت فتاة تتأبط ذراع شاب ملقية نظرة سخرية على سليم الذي حان دوره.

وجد نفسه مع أبيه في غرفة بيضاء واسعة تخلو من أي أثاث سوى سرير يشبه كثيرًا سرير المرضى في العيادات، وكرسي يجلس عليه الطبيب وجهاز حاسب آلي متصل به ثلاث أذرع ملونة، جلس فيها رجل أقرب للأطباء من راسمي الوشوم.. حيث ارتدى معطفًا أبيض اللون، ونظارة ذات عدستين دائريتين صغيرتين. "مرحبًا".. قالها بابتسامة لا يعلم منصور كيف استطاع صنعها وسط رائحة الأحبار تلك:

- أهلًا بك، هل هذه أول مرة لك؟

- نعم.. أريد رسمة سهلة وسريعة.

- يجب أن تعبر عن شخصيتك، فهي امتداد لروحك ولا تقلق من ناحية السهولة والصعوبة فأنا قادر على...

قاطعه بحدة:

- شمس صغيرة في حجم العملة المعدنية.. هنا.

وقد أشار إلى جانب رقبته الأيمن.

وجد منصور نفسه أمام المسجد مُمسكًا بزجاجة المياه.. لم تطل المدة هذه المرة.. هو لا يعلم لماذا تطول، ولا يعلم النمط أو النسبة التي تطول بها.. رن هاتف منصور كعادته ولكنه لم يرد هذه المرة بل دخل المسجد إلى الشيخ محمد الذي رآه في الماضي إمامًا لهذا المسجد أيضًا، ولكنه لم يكن عجوزًا بذلك القدر..

- السلام عليكم يا شيخ محمد.

- وعليكم السلام يا منصور.. أهلًا يا ولدي، كيف حالك؟

- أنا بخير يا شيخنا.. أريد أن أسألك سؤالًا ولا تستغربه.. هل أبي أوصاك بأن تخبرني بشيء ما إذا ما سألتك؟

ظهر الارتباك على وجه الشيخ:

-بعد كل هذه السنوات؟ لقد كان أبوك واثقًا من أنك ستسألني، وأخبرني بأن أطلب منك أن تقابله في تاريخ ما.. ولكن اعذرني يا ولدي، لقد مرت سنوات وضعفت ذاكرتي.. لا أذكر ذلك التاريخ بالتحديد.

-لا تقلق، إنني أعلمه.

ثم غادر منصور المسجد ليرد على درة بكلمات مقتضبة:

-هناك الكثير لأخبرك به..

❋❋❋❋

(١٦)

جلست درة في ذلك اليوم مع منصور في أحد المقاهى القريبة من بيتها بعد أن سمح لها والدها بذلك كإجراء استثنائي احتفالًا بعيد ميلاد منصور. وبعد أن طلبا مثلجات:

- ماذا حدث؟ ولماذا لم تحكِ لي في الهاتف؟

- أبي لم يقتل سمير.. ج لم يُقتل أصلًا.. لقد احتجز سمير كل هذه الفترة ولفق له التهم، ثم قتله هو.

- ج منّ الذي لم يُقتل.. وما علاقته بسمير؟

قاطعها قبل أن تسأل مُجددًا:

- أبي لم يقتل سمير، لقد اعتقد وقتها أنه القاتل وبالرغم من ذلك لم يحاول قتله.. ج من قتله. لقد احتجزه وقتله.

قالها منصور وشفتيه تقطران فخرًا، وكذلك فرحت درة له.. ثم بدا كأنها قد تذكرت شيئًا وقالت مترددة:

- هل رأيته وهو..

توقف الكلام على لسانها ولم تستطع أن تكمل، فأكمل هو:

- لم يُقتل بعد. حاول ج قتله ولكن لحسن الحظ أخفق..

أصيب أبي في ركبته اليسرى فقط.. لقد حدثت أحداث غير مفهومة هذه المرة.. لن تصدقي، لقد عدت وأنا في مركز وشوم. لقد وشم ذلك الوشم الذي وشمه جدي..

قاطعت درة حديثه الحماسي:

- هل تعني أنك ستسافر مرة أخرى؟

- لن تصدقي ما حدث.. لقد طلب أبي مقابلتي، كان يعلم أنني أسافر ويريد مقابلتي في اليوم الأول من عام ألفين وأربعة.

بعد شد وجذب في الحوار، درة تطلب ألا يسافر مجددًا، وهو يعدها بأنها آخر مرة.. السائل يكفي لسفر واحد أخير. وسيكون لمقابلة أبيه.. درة تذكره بأن زفافهما بعد أقل من شهر، وهو يخبرها بأنه سيكون أكثر سعادة وقتها لو استراح باله بأن يفهم. تتبدل ملامحها إلى مزيج من القلق والحزن وتطلب الرجوع إلى المنزل، وهو يستغل فضولها ويساوم بأن يخبرها ما حدث بالتفصيل وكيف طلب

أبوه لقاءهما إن أكلا سويًا. جلست بعدها درة وأمارات القلق بادية على وجهها، ولنتذكر أيضًا أن القلق قد جعلها أجمل.

****

قصّ منصور قصته بتفاصيلها، قاصدًا أن يُطيل مدة لقائهما قدر الإمكان.. قص عليها كيف وصل الضابط في نفس وقت إطلاق الرصاص، لقد كان الأمر سينمائيًا. وكيف طلب والده من كل من رآه تقريبًا أن يخبر منصور أنه يريد لقاءه. أخبرها منصور أنه بعدما عرف من الرسالة أن ج هو من قتل عبد الرحمن، عزم على أن السفر الأخير سيكون في ذلك اليوم بالتحديد؛ ليعرف من هو ج. لا يهم أن تلك المعلومة لا قيمة لها بعد ذلك. ولكن الأهم أن يرى الرجل الذي استطاع خداع الجميع، ولكن عندما طلب أبوه لقاءه فإنه رأى أن الجرعة الأخيرة من السائل لها غاية أهم. أخبرها في النهاية أنه سيزور خالته بعد بضعة أيام لأنه علم أنها مريضة. بعدها طلب منصور الفاتورة، وعندما قاما ليغادرا، سقط فاقدًا للوعي.

بعد اتصالات من درة للإسعاف ولوالدها، جاء والدها من منزلهما القريب ونقله بالسيارة إلى المستشفى. وقف الطبيب مع والد درة يتحدثان بعيدًا عنها:

- كيف حاله الآن يا دكتور؟

- لن أكذب عليك، لقد كانت خطيرة.. لقد أهمل كثيرًا في مرضه.

- أي مرض؟

- مرض السكري، إنه مريض به وما حدث نتيجة إهماله لفترة طويلة. لقد كادت تلك الغيبوبة أن تقضي عليه لولا استعانتنا بعلياء.

رجع بعدها والد درة التي قد تغير لون وجهها وفاضت عيناها بالدموع:

- كيف حاله؟ هل هو بخير؟

- لقد أفاق وسيغادر الليلة.. هل أخبرك أنه مريض بالسكري؟

****

بعد يومين من تلك الحادثة وصل منصور إلى الإسماعيلية ليزور خالته رغم معارضة درة المبدأية التي لانت بعدها في مقابل ألا يأكل هناك كما فعل من قبل، وأن يرجع سريعًا. وصل الشقة ولم يجد

الحفاوة نفسها في الاستقبال، ولا الاستعداد بالطبخ. لقد نامت خالته في سريرها وابنتا خالته تجلسان بجوارها تبكيانها. علم وقتها أن الفحوصات أظهرت التهابًا في الزائدة الدودية. طمأنهم وأخبرهم بأن إزالة الزائدة عملية سهلة ومضمونة بإذن الله. وأنه بالطبع لن يغادر حتى تتم خالته العملية على خير وجه.

يبدو هذا الحدث على قدر قليل من الأهمية وقد يصل إلى مستوى التفاهة إذا ما قورن بالأحداث الفائتة والمُقبلة على منصور. ولكن كالعادة فالأحداث البسيطة ينتج عنها في بعض الأحيان تغييرات جذرية في النتائج. لقد اجتاح الطاعون أوروبا بسبب فأر، وحُرقت لندن بسبب غفوة خبّاز. وإذا درسنا نتائج ذلك الحدث؛ ففي البداية طلب منصور من مديره في الشركة أجازة لأنه سيزور خالته، ولكن مديره رفض لأنه قد تغيب يومين بدون عذر ثم رجع إليهم بحجة أنه كان في غيبوبة سكري. وعندما سافر منصور بدون أجازه فصله المدير من العمل. نجد أيضًا أن ميعاد الزفاف قد تأجل حتى تماثل خالته للشفاء تمامًا واستطاعتها السفر والحضور.. وبالتالي أصبح ميعاد الزفاف يوم الأول من مارس. وذلك أتاح الفرصة لوالدي درة لإعادة النظر في الارتباط نفسه.. سنعلم السبب في المقابلة التي سيجريها منصور بعد أن يعود إلى القاهرة ليخبرهما بأن ميعاد الزفاف سيتأجل.

****

بالطبع تناقش مع درة طويلًا في ذلك الأمر، حتى استقرا على أنه لا مانع من أن يُؤجل الزفاف إلى الأول من مارس، خاصة أنه لم يحجز قاعة أفراح لأنهما أرادا أن يجعلا زفافهما بصورة مختلفة بعض الشيء بعيدًا عن تلك التكاليف والبهرجة التي لا تهدف سوى أن يقول العريس ضمنيًا لابن عمه: "لقد كانت قاعتي أكبر من قاعتك".. وتقول العروس ضمنيًا لجارتها: "لقد كان فستاني أجمل من فستانك".. ولكن لا للعريس أبناء عم، ولا كانت العروس من ذلك النوع من البنات، فعلامَ ينفقان!

جلس منصور أمام والدي درة في المترل ليخبرهما بظروف خالته، وأنه سيضطر لتأجيل الزفاف.

- ما رأيكما في الأول من مارس؟ سنستشير درة بالطبع وإذا وافقتم سيكون ذلك أفضل.. فخالتي كما تعلم هي من تبقى من عائلتي وأريدها بجواري في تلك الليلة.

تنحنح والد درة قليلًا، وتبادل نظرات مترددة مع والدها جاعلًا عقل منصور يقف عاجزًا أمام وضع احتمالات لكل هذا التردد.. لطالما كان والد درة رجلًا مباشرًا صادقًا.. ثم تحدث أخيرًا مُنقذًا منصور من شلال الأفكار:

- لقد أحسنت يا ولدي في أمر التأجيل ذلك.. لقد فكرنا في ذلك أنا ووالدة درة وأردنا أن نتحدث معك في هذا الأمر لولا أن عاجلتنا أنت بطلب التأجيل.

- هل أردتما التأجيل؟ لماذا يا عمي؟ لم أخالف ما اتفقنا عليه منذ يوم لقائنا الأول وكما طلبت..

قاطعه والد درة:

- لم تخبرنا أنك مريض بالسكري.. لا نقصد أن المشكلة في المرض، أنا نفسي مريض به، ولكنك لم تخبرني بذلك بل لم تخبر درة نفسها.. انظر إلى حالك، لقد شاب شعرك وارتديت نظارة وظهرت هالات تحت عينيك. كان يجب أن أستنتج أنك مريض.. لماذا أخفيت الأمر عنّا؟

- لم أكن أعلمه.. أقسم لك.. لقد اجتاحتني الغيبوبة تلك وأنا آكل مثلجات، هل مريض بالسكرى يتبقى على زفافه أسبوعين سيكون مهملًا بتلك الدرجة؟

- كما أخبرناك يا ولدي، نحن نعلم أنك ذو خلق ورجل.. ونحن لا نطلب إلغاء الأمر لا قدر الله.. فقط نريد مهلة لتزن الأمر.. والخير فيما سيقدمه الله.

خرج من تلك المقابلة، إلى المترل مباشرة. لم يرد على هاتفه.. وبمجرد دخوله الشقة وقف أمام المرآة متفحصاً هيئته.. لقد أصاب والد درة. لماذا يلهث لصعوده الطابق الثالث؟ لطالما صعده. لماذا ابيضّ شعره عن آخره بتلك السرعة؟ وعيناه أصبحتا غائرتين أكثر وفقد الكثير من وزنه لتبرز عظام وجهه.. لم يكن كذلك فلماذا؟ حتى عينه التي ارتدى لها نظارة منذ شهور أصبحت تؤلمه منذ مدة. وبالطبع أمر السكري الذي نهره الطبيب لأنه يهمل فيه منذ فترة.. أنا أهمل فيه منذ فترة؟ إنها أول مرة.

هل هذا بفعل سفره؟ أم بفعل ما رآه في سفره؟ أم بفعل إجهاد عقله وحمل هموم ليست مُقدرة لمن في مثل عمره أن يحملها؟

نظرة أخيرة على المرآة.. وتساقطت دموعه في صمت.

****

(١٧)

مرت الأيام بروتينها المعتاد في الأسبوعين التاليين، منصور يستيقظ مُبكرًا للتقديم في وظيفة مرة أخرى، ثم يعود بعد الظهر بقليل ليفتح مكتبته ــ لقد عاد لإدارتها ــ ثم يذهب إلى المترل في المساء ليعيد اليوم مرة أخرى في غده. قلت محادثاته مع درة في تلك الفترة، في البداية لأن والدها طلب منها ذلك ولكنهما تحدثا كلما سمحت الظروف. وبعدها كلما ساءت حالة منصور الصحية كلما ابتعد عنها.. حتى جاء يوم الثالث عشر من يناير في عام ألفين وسبعة عشر، وقد مر شهرًا الآن على السفر السابق. عزم منصور على السفر إلى والده، لا يعلم كيف سيقابله ولا أين. لا يعلم كيف سيراه وهو غير مرئي في ذلك الزمن.. باختصار.. لا يعلم شيئًا. وقف أمام السبورة مُعيدًا حساب الجرعة.. أراد أن يصل في الأول من يناير عام ألفين وأربعة. نزل إلى المسجد على الرغم من أن الشقة كانت قد بُنيت بحلول ذلك الميعاد، ولكنه آثر أن يفعل ما يفعله كل مرة. نزل أمام المسجد، أمسك

هاتفه.. تردد في الإتصال بدرة، ولكنه أرسل رسالة مقتضبة: "سأسافر الآن.. دعواتك".. وضع هاتفه في جيبه. رفع الزجاجة إلى فمه قائلًا: "بسم الله".

❊❊❊❊

وصل منصور لأول مرة في الليل، عانى قليلًا في معرفة تاريخ وصوله. فالمقهى خالٍ من الجرائد في الليل. ظل وقتًا جالسًا بين رواد المقهى منتظرًا أن يستشف من حديثهم ما تاريخ اليوم، وبالفعل أدرك أنه في ليلة رأس سنة ألفين وأربعة. لقد أتى مبكرًا بيوم. لا مشكلة، استغل منصور ساعات الليل تلك في حصر الأماكن المُحتملة للقائهما. بدأ بالشقة التي بناها أبوه مؤخرًا وسيعيش فيها منصور باقي حياته. صعد إلى الطابق الثالث، كان الباب موصدًا وهمّ بالنزول، لولا أنه سمع وقع أقدام على السلم. هذه مشكلة، لن يمكنهما العبور بجوار بعضهما البعض في هذا السلم الضيق دون أن يحس الصاعد بأن جسمًا قد لمسه. لذا صعد منصور إلى السطح ناظرًا إلى منطقته التي لم تتغير كثيرًا في هذه اللحظة عما تبعها في السنوات الثلاث عشرة التالية. المسجد كما هو، تلك العمارة كما هي.. السطح الذي يقف عليه

نفسه كما هو. نزل بعد أن اطمأن أن السلم فارغ، وقف أمام شقته وانتظر أن يفتح أبوه الباب لينسل هو داخلًا. ولكنه لم يُفتح. ألصق منصور أذنه على الباب وأرهف السمع، هناك حركة خلف الباب.. أبي بالداخل هل أقابله الآن؟ جاءته الإجابة قبل أن يحسم قراره، لا يعلم هل اهتز الباب عندما ألصق أذنه عليه، أم ماذا.. ولكنه سمع صوتًا من خلف الباب يسأل:

- منصور.. أهذا أنت؟

طرق منصور الباب، ففُتح الباب.. وجم منصور لحظتها لفترة ليست بقصيرة، فمن فتح الباب كان جده.. كان بنفس التجاعيد، نفس الانحناءة، نفس العصا.. ونفس العينين اليقظتين.

دخل منصور الشقة، وجده ما زال متكئًا على عصاه واقفًا بالباب يُكلم الفراغ:

- إذا كنت هنا فادخل.. أنا أنتظرك.. سأترك الباب مفتوحًا.

وجد منصور نفسه في نفس شقته، لم يتغير شيئًا في الأثاث سوى أنه صار أقدم بمرور الزمن.. وجد جده قد وضع على المنضدة قلمًا وأوراقًا، وحولها كرسيين. فهم منصور أن هذه ستكون وسيلة التواصل. طرق على المنضدة ثلاث طرقات جعلت جده يلتفت من

عند الباب إلى المنضدة فرحًا.. وبرغم صعوبة مشيته إلا أنه قد وصل سريعًا.. قال متهللًا بعد أن أغلق باب الشقة:

- لقد جئت يا منصور.. لقد نجحنا، أنا لا أصدق.. لقد نجحت فيما لم أفعله بعد.

كتب منصور وعينيه تدمعان:

- أفتقدك يا جدي.

قرأها جده وعينيه تدمعان:

- أنت أيضًا يا منصور.. سأفتقدك بالطبع، ولكن لدينا نقاشًا هامًا، ولا ينبغي أن نضيّع ثانية واحدة. كم يومًا ستبقى؟

كتب منصور في الورقة بالأرقام: أربعة.

- لدينا الوقت الكافي إذًا.. هل أنت مستعد؟

قالها جده بنفس النغمة التي قالها بها بعد أحد عشر عامًا في المستشفى قبل أن يموت مباشرة. كتب منصور على الورقة: نعم.

تغيرت ملامح جده بعدها إلى نظرة جدية:

- لا أعلم كم مرة سافرت. لا أعلم كذلك ما رأيت وما فاتك، لذلك سأخبرك كل شيء من البداية. منذ اليوم الذي بدأ فيه

أبوك بالعمل في قضية القتلة الثلاثة إلى يوم وفاته. كان أبوك موظفًا صغير الشأن في جريدة السبق، قبل أن تلفت موهبته وأمانته في أكثر من موقف نظر رئيس مجلس إدارة الجريدة الأستاذ إسلام أنور. اعتبره أبوك على الفور بمثابة أبيه الروحي. لا داعي لأعرفك بالقتلة الثلاثة وأسلوبهم. ستعرف ذلك من الصحف في المستقبل بقليل من البحث. اتصل ج يومًا ما كمجهول بإسلام ليخبره معلوماتٍ عن شخصية الجراح. ونشر إسلام أنه سيفضح الجراح في عدد الغد. قُتل إسلام يومها بأسلوب الجراح.. وبالطبع كان الجراح المتهم الرئيسي لأن لديه الدافع، وكذلك عملية القتل تمت بأسلوبه.. هل ما زلت معي؟

"أكمل يا جدي".. كتبها منصور.

- أقسم أبوك يومها أنه سينتقم من قاتل إسلام مهما طال الزمن وبعد الأمد. تخلص أبوك من الأعسر والجراح في ضربة واحدة. جعل الجراح يقتل الأعسر وأبلغ عن الجراح مستغلًا المعلومات التي نقلها إسلام إليه قبل موته بقليل. كان ذلك خطأ أبيك الذي طالما ندم عليه، لقد تسبب في قتل أحدهم وإن كان قاتلًا.. لن أصف لك ندم والدك في باقي عمره على ما فعل، ومحاولاته لتصحيح ذلك. بعدها قام ج بقتل سمير. وهذا الأمر يحتاج إلى

بعض الشرح.. لأن ج قد اختطف شخصًا اسمه عبد الرحمن سمير...

كان ما يقوله جده إلى الآن يعلمه منصور، لذلك فقد تركيزه لبعض الوقت وهو يتأمل ملامح جده، ليته يستمر في هذا الزمن إلى الأبد، فيحيا أحد عشر عامًا مع جده. أفاقه سؤال جده:

-هل فهمت ما قلت؟

جر منصور خطًا تحت "أكمل يا جدي" التي كتبها منذ قليل، وهو لا يعلم أين توقف جده في الحديث.

-غاب ج لشهور بعدها، توقف عن العمل لفترة حتى عاد لقتل والدك.. لحسن حظ والدك فقد خرج بركبة مصابة فقط. قضى أبوك في فراشه في المستشفى أهم ساعة في عمره. علم وقتها بأن ج متفوق عليه وعلى الشرطة. لن يتمكنوا من الوصول إليه مهما فعلوا. وفي نفس الوقت عرف أبوك بأمر السائل والسفر في الزمن قبلها بوقت قصير. وضع خطته في تلك الساعة لما تبقى من عمره وبدأ في تنفيذها.. خرج في البداية إلى أحد أصدقائه الأطباء فضمده وساعده، ثم عاد إلى الجريدة ليأخذ ذلك الملف..

قالها وهو يمسك ملفًا من خلفه:

- هذا الملف فيه كل ما أحكيه لك. كتبه أبوك ليُنشر يومًا ما بعد أن يُقبض على ج ليكون هذا الملف أعظم تحقيق صحفي كُتب في تاريخ الصحافة.

"السائل؟"

كتبها منصور بعد أن سأم من تلك المعلومات التي يعلمها.

- هكذا ورثناه وهكذا ورّثناه. لم نعرف من أين أتى وكيف يعمل. إذا وجدته بالطريقة المُقدر لك أن تجده بها سأكون قد شرحت لك كيف تستخدمه.. ولكنني أغفلت بعض المعلومات وكذلك كذبت في بعضها.

قال الجملة الأخيرة بابتسامته المعتادة.. رسم منصور علامة استفهام كبيرة في وسط الورقة..

- لم أكتب هذه الورقة إلى الآن، ولكن كما خططت فإني سأكتبها لك ناقصة. سأطلب منك ألا تقابل نفسك أو تقابلني.. سأخفي عنك الأثر الجانبي للسفر.

رسم علامة استفهام موازية لأختها المرسومة.

- أردت ألا تشغل نفسك بالسفر إلى نفسك ومتابعة ماضيك، الأمر إن جربته مرة ستدمنه. لا يقاوم معظمنا رؤية الأطفال

يلعبون ومتابعة تصرفاهم البريئة. ما بالك إذا كنت تتابع طفولتك وذكرياتك وأنت في دور المُشاهد؟ فبعد أن تدرك سخافة وطرافة ما فعلت، ستبدد السائل كله على ذلك. وكذلك سأخبرك بأنه يجب أن يفصل بين السفر والسفر شهر كامل، ولكن هذا غير صحيح أيضًا.. يمكنك أن تتابع السفر كما فعل أبوك من قبل. لقد وصل به الأمر بأن يقضي أكثر من عشرة أيام في السفر الواحد. أما عن الأثر الجانبي للسفر والذي ورّثه لنا سابقينا فهو أن اليوم في الماضي يصيبك بالعجز سنتين في حاضرك. أي يزيد عمر جسمك سنتين، وقد تصل للشيخوخة وأنت في العشرين من عمرك. لذلك طلبت ألا تضيع وقتك في السفر لرؤية نفسك.

ضرب منصور رأسه بيده، لهذا تدهورت حالته، لهذا مرض بالسكرى.. ثم أجرى عملية حسابية صغيرة وكتب على الورقة وقد كتم دموعه في عينيه. "٣٠".

لم يستطع منصور كتم دموعه أكثر من ذلك، فانفجرت وقام هو صائحًا في جده الذي يجلس أمامه مبتسمًا على الرغم من أن حفيده يخبره أن جسده أصبح في الخامسة والخمسين من عمره على الرغم من أنه في الخامسة والعشرين تقريبًا. استطرد جده وقد ظهر في صوته التعاطف:

- كان من الممكن أن أكتب في الرسالة ميعاد سفرك إلى اليوم مباشرة، وأقص عليك ما حدث لأبيك. ولكن وجب أن ترى بنفسك، ما كان لي أن أحرمك من ذلك.

كتب منصور في غضب:

"لقد كنت في الخامسة والعشرين.. الآنَ أنا في الخامسة والخمسين.. لقد أفنيت عمري لأجله، ولم أعرف حتى كيف مات.. زفافي كان قريبًا".

لان صوت جده أكثر وتبددت ابتسامته بعض الشيء وهو يقول:

- انتظر للنهاية، ستعلم أن حياتك كانت لهدف، أن ما ضاع لم يضع. استكمل أبوك تنفيذ خطته التي رتب لها وهو في سرير المستشفى، فاتصل بخالتك على أنه جدك؛ ليخبرها بأن أباك قد مات، وأن تأتِ فتأخذك لتعيش عندها هذه الفترة، وأنه سينهي إجراءات الميراث وما إلى ذلك وأن تحاول أن تتجنب الملاجئ هذه الفترة.

"ألم يكن أنت؟".. كتبها منصور وتجاهلها جده بابتسامة ليُكمل:

- ثم استكمل أسفاره.. قبل ذلك كان قد سافر مرة واحدة فقط، كانت لتجميع العملات القديمة لتأمين مستقبلك. ولكن هذه

المرة سافر أبوك في فترة قصيرة أكثر من خمسة وعشرين يومًا جعلته يكبر إلى الثمانين من عمره. لقد أقسم يومًا ما على أن ينتقم من ج لإسلام.. ولكن الأمر تطور معه إلى هوس إنقاذ الذين سيقتلهم ج. أراد أبوك أن يُحيي أرواحًا قد أُزهقت.

هدأ منصور ليسمع تلك المعلومات، فبعضها متضارب مع ما يعلمه، وبعضها لا يعلمه من الأساس.. تذكّر بعدها.

❋❋❋❋

سقطت دموع منصور وهو ينظر لأبيه وهو يصلي تحية المسجد. كان يبدو على أبيه أن عمره قد ازداد عشرين عامًا عما رآه منذ خمسة شهور. لقد ابيضّ شعره، وظهرت تجاعيد خفيفة أسفل عينيه. لا يعلم أهذا من مسؤولية الجريدة، أم بسبب تأنيب ضميره بعد قتل سمير، لم يعرف السبب وقتها، ولكن عرفه لاحقًا

❋❋❋❋

استطرد جده:

- بدأ في مراجعة كل ما يعلمه وما رآه، لقد علم وقتها أنه إذا سافر مرة أخرى فقد يموت، فهو في الثمانين الآن. كان ما يُعجزه أنه لا يعلم كيف يتواصل ج مع زبائنه؟ إن استطاع معرفة ذلك فقد ينصب له الفخ الذي يصطا..

غاب منصور عن جده في الحديث، بدا عليه كأنه يُفكر في أمرٍ ما ثم انتفض واقفًا، وبيد مرتعشة كتب على الورقة:

"أبي؟"



(١٨)

قضى خمسة أيام هذه المرة وعاد ليجد هاتفه يرن. رد مبتسمًا:

- يجب أن نتقابل الآن، لقد فهمت ما حدث.. أستطيع تصحيحه الآن. قابلت جدي.. ووالدي.

جلست درة أمامه في المكتبة، كان قد قضى في الماضي ــ متضمنًا السفر الأخير ــ ما مجموعه تسعة عشر يومًا، أي حوالي ثمانية وثلاثين عامًا. جلس كأي شيخ في الستين من عمره، تساقط شعره الأبيض، مُنحني الظهر وصوته مبحوح:

- هل تعلمين بمَ أشعر؟ أشعر كأنني فهد قد رُبط في سلحفاة ومجبر على مجاراة خطوها. عقلي يقظ وأستطيع أن أتخذ قراري بسرعة، ولكن جسدي لا يواكبني برد الفعل، بالسرعة المطلوبة. على أي حال هل تعلمين لماذا اصبحت هكذا وأنا لم أتم عقدي الثالث؟

أجابت وسط دموعها:

- بسبب ذلك السفر بالطبع.. ليتك لم تسافر، ليتني لم أدعك تسافر.. تغير كل شيء من وقت سفرك، حتى إنك لم تعد ترد على الهاتف.

- كل يوم قضيته في الماضي ضاع من عمري فيه سنتان.. ببساطة أنا الآن في الثالثة والستين.. الآن فهمت ما كُتب في جواب جدي على أن للأمر ضريبته.

انهمرت دموعها أكثر في صمت.

- هل تتذكرين عندما صرحت لكِ بأني أحبك أول مرة في الجامعة؟ لقد كان ذلك منذ سنتين تقريبًا.. أتذكر نفسي وقتها متلعثمًا ولغة جسدي لا تتوافق مع الكلمات.. أتذكر كيف حفظت الحوار في نفسي عشرات المرات لأنساه وقت المواجهة وأخبرك كلامًا غيره.. أتذكر ندمي على اختيار كلمات بدلًا من كلمات.. وأجمل ما أتذكره كيف أنكِ ابتسمتِ وغادرتِ في خجل.

ظلت هي في دموعها صامتة حتى خرجت منها الكلمات بطيئة:

- لماذا فعلت بي ذلك؟

- من فعل ذلك كان الشاب الطائش، وليس الشيخ فلا تحاسبيني على أفعاله.. وإن كنت لأتخذ نفس القرار لو عُرض عليّ مرة أخرى.

فتح يده اليمنى لتجد زجاجة صغيرة من سائل أخضر اللون ليستطرد:

- دائمًا ما رمزوا للشباب باللون الأخضر.

- ما هذا؟

- إكسير الحياة الأسطوري.. هذا ثمانٍ وثلاثون سنة من عمري.. هذا تذكرتي للزواج منك مرة أخرى.. هذا ما سيعيد جسدي إلى ما كان عليه قبل السفر.

قفزت درة من الفرحة ودموعها ما زالت تسيل: ماذا تنتظر؟

- نحن لا نعلم أثره، لم يتناوله أحد من قبلي.. سيؤثر ذلك حتمًا على عمري إن حاولت السفر، قد يقتلني أو يضاعف الأثر الجانبي للسف..

قالها وهو يُخرج زجاجة مملوءة بالسائل الأسود من حقيبة مليئة بزجاجات مماثلة، بينما قاطعته هي في حزم:

- لن تسافر، ستعود الآن.. اشربه لا أريد أن أراك هكذا.. اشربه.. لا حاجة لنا بالسفر مرة أخرى من الأساس.

مد يده مُمسكًا بيد درة، لتشعر بها مجعدة وخشنة ترتعش فوق يدها:

- أنتِ لا تفهمين.. هذه الزجاجة موجودة منذ أجيال، وكلما سافر أحد أجدادي اكتسب من الحكمة ما يجعله لا يشربها.. يعلم أنه قد استنفد محاولاته ويجب أن يتركها لمن بعده.. لقد كان والدي أحدهم.. نحن حتى لا نعلم ما سيحدث بعدها، قد يزيد عمري بعدها في أي سفر إلى غير رجعة.

- لن تسافر.. لا يهمني كل ما قلت، لا الحكمة ولا السفر ولا أيًا مما قلت.. ستشربها الآن.

- أنتِ لا تفهمين، إذا شربت هذا السائل سيموت إرث عائلة الرحّال إلى الأبد.

- فليمت وتعيش أنت.

- يجب أن أسافر، سفر أخير ثم أعود وأعيد شبابي.

- وماذا إن لم يتحمل جسدك سفرًا آخر.. هل تريد أن تموت؟ هل تريد أن تتركني؟ ألا تريد أن نتزوج؟

وأمسكت يده ترفعها إلى فمه، لم يستطع مقاومتها وهي تبكي.

****

ظلت ناظرة إليه في غير وعي، لقد رأت تجاعيد وجهه تذوب في ملامحه ويعود إليه شبابه، رأت شعره الأشيب يعود إلى لونه الطبيعي.. رأته منصور كما كان.. بينما نظر هو إلى الزجاجة الفارغة في حزن وهو يعلم أنه قد بدد ما حافظ عليه أجداده، ألم يكن لأحدهم "درة" لتقنعه بأن يشربها؟!

وكأن ما حدث لم يكن مفاجئًا بما يكفي، أخبرها بمفاجأة أخرى ألجمت لسانها، حيث قصّ عليها ما جرى بينه وبين جده إلى أن كتب منصور "أبي؟".. ثم استطرد:

- لقد كان أبي، لقد عاش معي كل هذه السنوات.. لم يكن جدي.

انتظر منصور من درة تعقيبًا أو استفهامًا أو استنكارًا.. ولكنها ظلت صامتة فاستكمل هو حديثه:

- لقد أخبرني أبي كل شيء، لقد مات جدي عندما كان أبي صغيرًا، في الواقع أنا لم أقابل جدي ولا مرة في حياتي. أبي تركني عند

خالتي وأخذ يسافر بالزمن ويسافر، أراد أن ينتقم لإسلام بشدة، ثم بدأ دافعه يتغير إلى أن ينتقم من ج الذي أهانه وانتصر عليه أكثر من مرة. حتى أصبح في الثمانين من عمره برغم شبابه.. كان أبي أمامه السائل الأخضر ليعيد شبابه.. ولكنه ـــ كما أخبرني ـــ علم في قرارة نفسه أنه إذا شربه فإنه سيُعيد السفر مرة أخرى، ووقتها سيكون قد بدد السائل إلى الأبد. لذا ادّعى أبي أنه جدي. وعاش معي ليربيني لأتقبل مسألة السفر تلك.. يقص عليّ قصص المصباح السحري وأنا طفل، ثم أكبر ليقرأ لي كتب أنيس منصور وتحقيقاته عن الظواهر الغامضة، تاركًا في نفسي ذلك السؤال يكبر مع الزمن: "ما تفسير ما حدث؟".. ثم فاجأني بإجابته وهي: "السائل".

لم تعقب درة وظلت كما هي صامتة:

- إنني أتعجب أنني لم ألحظ ذلك من قبل، أبي أُصيب أمامي برصاصة في ركبته اليسرى وعالجها بشكل خاطئ جعله يسير بعرجة طوال عمره. وكذلك جدي يسير بعكازه في يده اليسرى نتيجة عجز قدمه اليسرى. حتى إن الوشم الذي رسمه أبي أمامي كان مرسومًا على عنق جدي من قبل.. كيف لم ألحظ.

****

جلس على كرسيه يتذكره. كيف كانت ابتسامته وسط وجهه الذى غمرته التجاعيد، وكيف كانت مشيته المتمايلة مرتكزًا على عكازه بيده اليسرى.

❋❋❋❋

كان الطبيب صديقًا لسليم الذي نصحه بالعودة إلى المستشفى ليجروا له العملية معللًا بأنه لا تتوافر في عيادته ما تحتاجه العملية من أدوات، ومهما فعل في ضوء إمكانيات العيادة فإنه سيترك أثرًا على ركبة سليم وستصبح مشيته عرجاء طوال العمر.

❋❋❋❋

أفاقت درة من شرودها أخيرًا وقالت:

- هل تقصد أن أباك قد سافر وأنت عند خالتك حتى كبر جسده فرباك على أنه جدك؟

- نعم، استغل أن خالتي عاشت في الإسماعيلية ولم تعلم أصل أبي الذي كان من المنيا، لم تعلم هل مات أبوه أم لا. باختصار.. الإجابة نعم.

- ونِعمَ العائلات.

ضحك منصور إثر تعقيبها واهتز جسده الشاب حتى كاد يسقط من مقعده.

- لقد أخبرني أبي أنني إذا سافرت لأعلم كيف مات أبي.. "فالآن أنت علمت، ولكن إذا أردت تغيير شيء وأن تجعل لضياع عمري وتجربتنا قيمة، فيجب أن تردع ج".

المضحك أنني سافرت لأعلم كيف مات أبي، خاض مغامرة طويلة، ضُرب فيها بالرصاص، وهدده الضابط واستهدفه العديد ليموت في النهاية بين يدي في المستشفى على أنه جدي.

- وماذا بيدك أن تفعل؟ لقد انتهى..

- ج لم يمت بعد.

قاطعها بحزم، لتجيبه بتشكك:

- ماذا تنوي فعله؟

- الآن ملكت الماضي، يجب أن أصلح الحاضر، لأبدأ بتغيير المستقبل.

❋❋❋❋

(١٩)

- لقد كانت فترة عصيبة يا عمي.. ذكرى وفاة جدي مع ضغط العمل وإعدادات الزواج جعلت حالتي الصحية تسوء إلى تلك الدرجة.. ولكنني الآن كما ترى، بعد أن استشرت طبيبًا نفسيًا وتابعت العلاج معه طوال الشهر الماضي تحسنت حالتي بدرجة كبيرة، لن تصدق أن مرض السكرى أيضًا كان بسبب نفسي وبمجرد تغلبي على ذلك السبب شُفيت منه أيضًا.

قضى منصور معظم تلك المحادثة في الكذب، لا بد أنه ورثه بالفطرة من والده مستغلًا من هنا معلومة عن قدرة العقل في صنع المعجزات وإقناعه للجسد بما يُريد، ومن هناك تذكير بقدرة الله الذي يُحيي العظام وهي رميم. لقد كان الأمر كله لأسباب نفسية، وبغياب تلك الأسباب النفسية عاد الجسد إلى طبيعته. ومن هنا لم يجد والد درة بُدًا من الإقرار بأول مارس كميعاد نهائي لليلة الزفاف. انتهى الأمر في جلسة واحدة، ثم استأذنه منصور في الخروج مع درة؛ لأنهما لم يتقابلا

منذ فترة إذعانًا لرغبته ـــ بالطبع لم يخبره أنها زارته مرة في المكتبة ـــ. خرجا هذه المرة دون الجلوس في منطقة ما، فقط تمشيا متجاورين أغلب الوقت.

تأبطت درة ذراعه وسارا فترة طويلة قالا فيها من الحديث ما خفق له قلب منصور واحمرت له وجنتا درة. ولرجل مثل منصور عاش زمنه وشهد أزمنة غيره لم يكن من السهل أن تذوب حدود الزمان بتلك السهولة، ولكن ها قد ذابت.. وها قد ذاب هو.

لم يتحدثا هذه الليلة عن أيٍ من ماضيه أو مستقبلهما، فقد كان تناجي القلب للقلب، واحتضان الروح للروح، وحديث العين للعين. هذه الليلة تتبعهما كيوبيد ليلقف ما يسقط منهما من مشاعر؛ ليشحذ بها سهامه فيصيب بها غيرهما من المحبين. وصلا إلى منزل درة، ابتسما برقة تتناسب مع حالة قلبيهما، وتفارقا بهدوء يتناسب مع حالة الوسن التي غلبت عليهما.

وبالرغم من جمالها الزائد تلك الليلة، فإن تلك الابتسامة جعلتها أجمل أيضًا.

❋❋❋❋

وكأنه يومها تذكر لأول مرة أنه عاطل عن العمل، فبدون المكتبة ليس لديه دخل يعول به درة. وبعد تجربته السابقة في الشركة وتعامل مدير الشركة معه، علم في قرارة نفسه أنه لن يتحمل أن يكون مرؤوسًا بعد ذلك.

وجد نفسه مدفوعًا بقوى القدر إلى المضي في سبيل حلمه القديم. يومًا ما حضر محاضرة في كليته لمُحاضر شاب من رواد الأعمال الناشئة، أخبرهم فيها عن كيفية التسجيل على مواقع العمل الحر من المنزل مثل "فايفر" و"فري لانس".. وشرح لهم سهولة الأمر وعائده المادي الكبير، كان منصور من ضمن القلة التي انتبهت لما قيل وأخذته على محمل الجد، وفي نفس اليوم كان قد اشترك في تلك المواقع بالفعل. بدأ ببعض أعمال الترجمة وكتابة مقالات المدونات حتى انتبه إلى أن الربح الحقيقي يأتي من التصميم والبرمجة، لذا استعان ببعض المبرمجين والمصممين، يتفاوض هو مع العملاء ويترك العمل للمبرمجين والمصممين، ويخرج من الأمر بعمولة جيدة. كل هذا وهو في السنة الأولى من الكلية، ومن هنا ظهر حلمه وهو تأسيس شركة للعمل الحر. سيكون هو مديرها ويأتي بأشخاص مختلفي المواهب ويوظفهم معه. لذا بدأ مجددًا في التجهيز، وكانت خطته في تأجير مكتب ونشر بعض الإعلانات والعودة من جديد للعمل على المواقع الإلكترونية، ولكن من خلال شركته الجديدة.

❋❋❋❋

تقابل منصور ودرة بعدها في أوقات متباعدة. وكلما سألته عمّ يريد فعله أخبرها بأنه لا زال يفكر. وفي أحد الأيام الأولى من شهر فبراير جرى بينهما ذلك الحديث الذي قطع على درة أي سبيل لثنيه عما ينتويه:

- هل قررت ما ستفعله؟

- لا زلت أفكر.. يجب أن يُدرس الأمر جيدًا.

- ألا يمكننا أن نكتفي بتلك المغامرة؟ ألا يمكن أن نتركه لله وهو سينتقم منه؟

حاول كتم غضبه مما قالته ولكن ظهر آثار منه في صوته:

- وماذا إن كنت أنا انتقام الله الذي أرسله له؟ أنت تعرفينني جيدًا، لست متفانيًا في خدمة الناس بتلك الدرجة، ألم تتساءلي ما الذي قد يجعل شخصًا مثلي يضع حياته في خطر؟ ألم تتساءلي ما الذي جعلني مستعدًا للسفر مرة أخرى بعدما ضاع عمري؟ ما الذي يجعلني أخاطر بكل شيء؟

لم ترد درة، وإنما اكتفت بنظرة "لا تغضب مني". أكمل منصور وقد علا صوته عما قبل:

- إيمان أبي بي.. كان باستطاعة أبي أن يشرب ذلك السائل الأخضر ويستعيد شبابه، ويقرر بعدها إما أن يسافر مجددًا أو أن يعيش حياته. ولكنه قرر ألا يشربه من الأساس، لقد راهن عليّ وأنا في العاشرة من عمري، راهن أنني سأستطيع الوصولَ له، ترك لي السائل وضحى بشبابه. لقد أخبرني عندما قابلته عن الأشخاص الذين قتلهم ج.

تحولت نظرة درة إلى "اهدأ قليلًا، لم أقصد كل هذا".. بينما لان صوت منصور إثر نظرتها:

- لطالما حدّثني جدي.. أقصد أبي، أنه لا يرى إنجازًا له في حياته كلها إلا إنقاذه لطفلة من الغرق يومًا ما. لطالما تساءل إن كان الهدف من حياته كلها هو إنقاذها. لقد ذكّرني بعم حمدي، ذلك الرجل الذي عاش في طفولتي، كانت تصرفاته غريبة إثر مرض عقلي، ببساطة كان واحدًا ممن نطلق عليهم "البركة" أو"المجذوبين". لم يضف هذا الرجل إلى الحياة شيئًا. عاش وحيدًا، ومات وحيدًا، لم يعمل وعاش على صدقات الناس. ختم أبي الكلام وقتها سائلًا: "هل تراه عاش فقط ليكون دافعًا للناس كي يضيفوا؟ كي لا يعيشوا ويموتوا وحيدين؟ أم أن حياته كانت كي نتحدث عنه الآن فقط؟"

أيقنت درة وقتها أنْ الأمر لم يعد انتقامًا لوالده، ولا حفاظًا على قسم والده بالانتقام من إسلام. لقد تطّور الأمر إلى إثبات أن أباه قد استثمر عمره بطريقة صحيحة. علمت بأنه إذا أراد أن ينتقم فإنه ينتقم لكل ضحاياه، وإذا أراد التفوق عليه فإنه ليمنع ضحايا آخرين. لقد بلغ الأمر من السمو ما يجعل عريسًا قبل زفافه بشهر ــــ والذي لطالما انتظره ــــ ينشغل بإنقاذ أحدهم.

- "ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعًا". هذا ما أراد أبي قوله بذلك السؤال. أرادني أن أفهم.. وقد فهمت.. ما أفعله الآن هو الهدف من حياتي.. لن أخرج منها كعم حمدي.. سأمنعه من قتل ضحية أخرى.

قال الجملة الأخيرة برقة مقاومًا دموعه، منافيًا عنف الجملة نفسها، فعقبت بصوت خافض:

- أعرف كيف يتواصل مع زبائنه.

صمت قليلًا منتظرًا أن تعقب درة بدعابة ما، ولكن نظرتها الجادة جعلته يتساءل إن كانت تعرف فعلًا.

- هل أنتِ جادة؟

قالها بتشكك لتومئ هي بيأس.

- كيف عرفتِ؟ ولماذا لم تخبريني؟

قالها في غضب لتعقب هي بنفس اللهجة المنكسرة:

- حاولت أن أجنبنا هذا الموضوع، فالزفاف بعد..

قاطعها في محاولة منه لضبط صوته ليخرج بأقل قدر من الغضب:

- كيف يتواصلون معه؟

- لا يتواصلون معه، بل يتواصل هو معهم.

انتظر مزيدًا من الإيضاح ولكن من الواضح أنه يجب أن يدفعها إلى الكلام دفعًا.

- كيف؟

- في سفرك الأخير أخبرتني أن أحد رواد المقهى قرأ في جريدة ما أن والدك يريد بيع شقته بربع مليون جنيه، وكذلك أخبرتني أن ج أرسل في خطابه لعمر يخبره بأنه قد عقد صفقة بقتل والدك مقابل نفس الثمن.

- ألا يمكن أن تكون صدفة؟

نظرت له نظرة "ألا تشعر بالحرج مما تقول؟".. ثم تغيرت نظرتها إلى الطمأنينة بعد أن رأت عينيه وقد هدأت ثورتها، ليرد هو على نفسه:

- بالطبع لا، لا يوجد صدفة واحدة في كل ما حدث لي ولن يكون.

- بل هناك صدفة.. لقد مزحنا يومًا بشأن أحد الإعلانات في الجريدة، شقة فيصل بعد افتتاحك للمكتبة. قُتل صاحبها "لؤي مدحت" بعدها بثلاثة أيام في حريق نتيجة تسرب الغاز في منزله.. لقد تحريت عن ذلك بنفسي.

****

علي سبيل التذكير.. جلس منصور رابع يوم بعد تجديده للمكتبة يقرأ جريدة قديمة وجدها على المكتب عندما أعاد فتح المكتبة ولم يتخلص منها، وقع عينه على إعلان لشقة في فيصل سعرها ستمائة ألف على الرغم من مساحتها التي لم تتجاوز أربعة وخمسين مترًا مربعًا كما وصفها البائع. التقط صورة للإعلان بهاتفه وأرسلها لدرة على الانترنت معقبًا على أنه مليونيرًا لأن مساحة شقته مئة وأربعون مترًا، وأن والدها سيسر كثيرًا بتلك المعلومة.

****

- من الواضح أنكِ تعملين لصالحك منذ فترة.

قالها بعتاب أكثر منه غضبًا، ليكتسي وجهها بالإحراج.

وكالعادة تلك النظرة جعلتها تبدو أجمل.

****

امتصت درة غضبه في الأيام التالية وهما يضعان الخطة، يستعرضان نقاط القوة المتمثلة في أن ج قد اختفى وغيرّ طريقة قتله ولا يعلم أن أحدهم يتتبعه الآن، وبالطبع أكبر نقاط القوة تتمثل في معرفتهما طريقة التواصل مع زبائنه. بينما تتمثل نقاط الضعف في أن أي مواجهة بينهما ستكون محسومة لصالح ج، وكذلك عامل الوقت الذي طالما شدد منصور على أهميته، فكلما طالت المدة كلما اقترب أحدهم من الموت. مر الأسبوع الأول من شهر فبراير في تلك الحسابات. علمًا بأنه يمكنهما بقدر ما يشاءان تغيير الخطط واستبدالها، ولكن أول خطوة في أي خطة ستكون إعلانهما في الجريدة عن هدف ما ليتواصلا مع ج وقتها. وكذلك سيهدد أي خطة سيضعانها أنه يجب أن يمتلكا من المال ما يكفي. العملية السابقة كانت بستمائة ألف جنيه كما كُتب في

الجريدة، إذًا يجب ألا تقل قيمة الإعلان عن سبعمائة وخمسين ألف جنيه كي يكون الأمر مغريًا بما يكفي، وكذلك يجب أن تكون الشخصية المستهدفة صعب قتلها، ولكن ليس بالدرجة التي تجعله يتردد في الاتصال به. عزم منصور أن يُجرب مرة ولن تكون جزءًا من أي خطط، فقط سيحاول أن يعرف طريقة تعامل ج في الأموال، بعدها بأسبوع سيبدأ في تنفيذ الخطة التي اتفق عليها مؤخرًا مع درة.

❋❋❋❋

- عمرو عيد.. جئت لأنشر إعلانًا.

- ماذا تريد في إعلانك يا أ/عمرو؟

صدر ذلك السؤال من موظف جالس على مكتب صغير في أحد الجرائد لمنصور الذي عرفّ نفسه باسم آخر. فهو ليس متأكدًا ما إذا كان ج يتتبع الإعلان في الجريدة للتأكد من شخصية السائل.

- أريد إعلانًا عن بيع شقة في مدينة نصر بالعنوان الآتي ((وناوله ورقة)) والسعر المطلوب مليون جنيهًا.. رقم المتصل في نفس الورقة معك.

جلس منصور ودرة في المكتبة مساء اليوم التالي وقد تأكدا من نشر الإعلان في معظم الجرائد بنفس صيغة الإعــلانات التي يهتم بها

ج. كلّف

ذلك منصور جنيهًا من ذوي الجملين.

- لقد نُشر الإعلان منذ الصباح، لماذا لم يتصل إلى الآن؟

- لا أدري.. ولكنه سيتصل.. أنا واثق من ذلك.

مرت دقائق ثقيلة لا يدري منصور عددها حتى رن الهاتف بالرقم الجديد الذي اشتراه خصيصًا لذلك. وكما اتفقا أمسكت درة الهاتف ونظرت إلى منصور في تردد، ورد بنظرة شجعتها فردت وقد فتحت السماعة الخارجية:

- ألو.

رد صوت ثقيل متشكك ينم عن خبرة في مثل هذه المواقف:

- أتحدث بشأن الإعلان الذي..

قاطعته درة:

- إنها ليست للبيع.. إلى اللقاء.

- أعلم ذلك.

- انتظر معي قليلًا لأحولك إلى صاحب الإعلان.

وضعته درة على وضع الانتظار قليلًا وهي ترتجف "إنه هو". كان الهدف من تلك الخطوة أن يضيفا طابعًا من الرسمية والاحترافية، كأنه مدير وهي مساعدته الخاصة. وضع الهاتف أمامه على المكتب وهو لا يزال في وضع السماعة الخارجية ليرد في لهجة جادة:

- سمعت أنك مهتم بالإعلان، ما الذي تستطيع تقديمه؟

- ذلك العنوان لا يسكنه أحد، هل من المفترض أن أخمن؟

- سأخبرك بميعاد التنفيذ وسيكون موجودًا بها.

- أنا أنفذ في الميعاد الذي أراه مناسبًا. لا أخرج في ميعاد يعرفه غيري.. إذا كان مناسبًا لك ستخبرني باسمه وأنا أنفذ وقتما يتراءى لي. إذا لم تستطع فلنغلق الآن ولتدعُ عليه في صلاة العشاء أن يموت.

فلنتذكر الآن أن منصور قد أجزى هذه المكالمة من البداية ليستفز ج، وليعلم معلومات عنه. ولكن بعد جملة ج الأخيرة التي قالها بعجرفة وتهكم لم يتمالك منصور مشاعره وكاد أن يصرخ بوابل من التهديدات، ولكن لحسن الحظ فهمت درة تبدل ملامحه، وقبل أن

ينطق أغلقت الهاتف تاركة ج معتقدًا بأنها صفقة لم تتم لتحفظ العميل على اسم الضحية.

- اصبر قليلًا، لن نهزمه إن لم نتحكم في أعصابنا.

- لن أستطيع الانتظار لشهر مايو حتى نبدأ.

- وهل تريد أن نبدأ ونحن في شهر العسل؟

كان عتابًا أكثر منه سؤالًا.

****

استطاع منصور أن يتأقلم مع ذلك، أيام قليلة ويتزوج ثم أيام قليلة ويتفرغان لذلك. حتى تبدّل كل شيء، طلبت درة منه أن يتقابلا في المكتبة اليوم التالي. يوم الثالث والعشرون من فبراير.

دخلت ذلك اليوم المكتبة وأثر البكاء ظاهر عليها، مما جعله ينتفض ليستفهم، ولكنها قالت في حدة وكأنها ترددها مع نفسها طوال الطريق منتظرة أن تُخبر أول من تقابله: لن يكون لؤي آخر ضحاياه.. سيقتل أحدهم قريبًا.

قالت ذلك وهي تلقي الجريدة من يدها على المكتب.. قرأ الإعلان في صمت ثم نظر لها ليسألها بدون كلام "وهل سننتظر؟" فتجيب هي: "ومن أحياها".

ابتسم منصور، فهو لم يقتنع أنه سيصبر كل هذا.. وها هي تطلب منه أن يتحركا الآن.

- وماذا عن المال؟ كيف سندبر سبعمائة وخمسين ألف جنيه لنجعل ج يظهر.

كان ذلك سؤال درة التي تفاجئت بابتسامة منصور:

- من قال أنه لن يخرج من مخبأه سوى للمال؟

- أنت قلت هذا.

- لقد كنت مخطئًا.. سيخرج لسبب أقوى.

لم تفهم درة السبب الأقوى، ولم تفهم كيف تيقن منصور أنه سيخرج لذلك السبب.

❋❋❋❋

السبت (الخامس والعشرون)

جاء السبت بعد أسبوعين من مكالمته مع ج وبعد مقابلته الأخيرة مع درة بثلاثة أيام، وقبل زفافه بثلاثة أيام أيضًا. وبالرغم من قلقه وكثرة أفكاره تلك الليلة، استطاع النوم كعادته، ولكن أيقظه رنين هاتفه. رد على درة:

-حسنًا، تأكدي من أن تدّعي اسمًا آخر. هم لا يهتمون سوى بالمال، لن يطلبوا هويتك. لا تقلقي سأكون معكِ بالهاتف في كل خطوة.

طمأنها منصور والخوف يعتصره. لم يخطط لإشراكها في أي دور قد يشكل خطرًا عليها، لكن بعد إعلانه الأخير منذ أيام، أصبح من الصعب أن يذهب للإعلان مرة أخرى. إذا زرع ج أعينًا في جريدة واحدة فقط، سيكفي ذلك لأن يعرف بأن صاحب إعلان هذه المرة هو نفسه العميل المُنسحب المرة الفائتة.. قد يهدد ذلك كل شيء، قد لا يتصل ج من الأساس. اضطر لترك تلك الخطوة لدرة التي تطوعت لذلك، علم وقتها أنه يستطيع الوثوق بها ولكن دارت في خيالاته

احتمالات متشائمة تنتهي كلها نهايات مأساوية بالنسبة لها.. لم يستطع منع نفسه من الاتصال بها، وما إن ردت طلب منها أن تعود وسيتصرف هو في الإعلان بطريقة أخرى.. ولكنها ردت بمرح:

- لقد انتهيت من إحداها بالفعل، وساعدني ذلك الموظف البشوش على الإعلان بالهاتف مع بعض الجرائد من أصدقائه ودفعت له. سأنتهي بعد جريدتين.

- هل أخبرتيه باسمك الحقيقي؟

- لا، لقد كنت"مايا" وقتها.. لا أدري لماذا طرأ ذلك الاسم في عقلي وقتها.

- الآن علمت لماذا كان بشوشًا.

اطمأن قليلًا بعد تلك المكالمة، وظل يتابعها حتى انتهت من باقي الجرائد، واتفقا أن يتقابلا غدًا في المكتبة ليستقبلا مكالمة ج ويكملا الخطة كما هي موضوعة. ظل يتابعها حتى وصلت المنزل وبدأ في مراجعة خطته التي اتفق عليها معها. كانت الخطوة الأولى متمثلة في الإعلان، والآن ستبدأ الخطوة الثانية.

قصد منصور بعدها مديرية الأمن، وبعد أن قضى أكثر من ساعة في طريقه للمديرية بسبب الزحام المروري وصل الساعة الثانية عشرة

ظهرًا. صعد إلى مكتب عمر ليسأل العسكري الواقف أمام الباب هل هو موجود أم لا، ليجيبه العسكري بأن عمر باشا قد تقاعد منذ سنتين. بالطبع لم يعلم العسكري عنوانه. رأى منصور العامل الذي دخل بالقهوة لعمر منذ ثلاثة عشر عامًا مارًا أمامه، أضاع بضع ثوانٍ في تذكره بعد أن تغير شكله، واستوقفه سائلًا عن المُقدم عمر، وللأسف لم يعلم هذا العامل شيئًا عنه منذ استقال، ولكنه أبدى ملاحظة تافهة أنه قد سمع أنه افتتح شركة حراسات خاصة منذ ستة أشهر، تلك الشركة التي ترى إعلاناتها مُعلقة فوق الطريق الدائري.. حسنًا لم تكن تافهة بتلك الدرجة.



الأحد (السادس والعشرون)

•

جلس منصور منذ فجر ذلك اليوم في المكتبة بعد أن ضنّ عليه عقله أن يستريح. نزل لقضاء صلاة الفجر ثم ذهب إلى المكتبة. كان قد اقتطع جزءًا منها ليكون مقرًا لشركته، زوده بثلاثة أجهزة حاسب آلي، وبقى أن يعلن عن شركته الصغيرة. دلف إلى مكتبته وهو يزن خطته، علم وقتها أن خطته الجديدة أصعب من سابقتها، فهي تعتمد على المواجهة بينهما، ستكون مكالمة اليوم هي الحكم ليعلم إذا كانت خطته ستنجح أم لا. ولكن هل تراه سيتصل من الأساس؟ لقد قدّمت درة أمس عرضًا بمليون ونصف، ليكن ذلك دافعًا له لإجراء ذلك الاتصال، لأنه قد تلقى عرضًا منذ ثلاثة أيام وقد لا يقبل أعمالًا حتى ينتهي من عمله السابق. سيموت أحدهم وقتها. وفي محاولة يائسة منه أجرى اتصالًا مع ساكن الشقة الموجودة في الإعلان السابق، وأخبره بأن هناك من يتآمرون لقتله ويجب أن يأخذ حذره هذه الأيام. وقضى يومه في الدعاء بأن يتصل ج.. وصلت درة الساعة السابعة لتسأل بمجرد دخولها:

- هل اتصل؟

وكأنه ينتظرها، أتت الإجابة من هاتف منصور الذي علا رنينه ــ بالطبع رقم مختلف عن رقم الإعلان الفائت ــ وضع الهاتف في وضع السماعة الخارجية ورد:

- ألو..

- أتصل بخصوص إعلان..

تحدث بنفس الصوت الثقيل المهيب، ولكن منصور قاطعه:

- هل ستخبرني مزحة الثلاثة رجال الذين ذهبوا إلى المتجر؟

كان الأمر مفاجئًا لدرة، هي تعلم أن هذه المكالمة يجب أن تحدث فيها مواجهة تستفزه للخروج، هكذا أخبرها.. ولكنها لم تتوقع أن يتم الأمر بتلك الصورة. ومن الواضح أنه فاجأ ج أيضًا الذي سكت قليلًا ليستكمل منصور:

- أعلم ما يدور بعقلك الآن.. ولكنه ليس صحيحًا.

- من أنت؟

قالها في اضطراب واضح جعل درة تبتسم لتشجع منصور.. وكأنه لم يسمع سؤاله:

- تذكرت آخر مرة أخبرت أحدهم عنها، لتكتشف أنني إما عمر أو سليم. وتتساءل الآن إن .كنت عمر وأحاول خداعك. ولكنك تعلم أن عمر الآن قد اعتزل تلك الحياة بعد أن يأس من العثور عليك.. ثم تتساءل إذا كنت سليم ولكنك بالطبع استبعدت هذه الفكرة.. كيف لميت أن يعود!

- من أنت؟

كانت لهجته هذه المرة أكثر عنفًا ليستكمل منصور متلذذًا:

- حسنًا.. لقد كان تفكيرك منطقيًا ولكنك أغفلت شيئًا واحدًا.. أن سليم لم يمت.

انتظر قليلًا بعد جملته الأخيرة تاركًا الوقت الكافي ليستوعب جملته الأخيرة، ونظر لدرة ليرى دهشتها من جرأته.. استطرد بعدها:

- لقد حكى لي كل ما حدث عندما كنّا أصدقاء.. لا تتخيل كم كان فخورًا بما فعل، هازئًا مما فعلت أنت. أتذكره قائلًا: "إن التحدي كان كمباراة شطرنج غير متكافئة بين طفل وبطل عالمي".. تريد الحقيقة؟ لقد أهانك.

قالها منصور باستفزاز مصطنع، منتظرًا رد ج الذي جاء حادًا:

- استمع أيها الفتى، لا أعلم من أنت.. ولكنك بالطبع أذكى من أن تظن أنها خدعة جديدة.. لا تعتمد على استفزازي.. وبالمناسبة، أعرف أن هناك من تلقى رصاصة الرأس بالخطأ مكانه.

صمت ج ليبدأ عقل منصور في الكلام "ما هذا الغباء؟ هل تظنها درة تريد إغاظتها ببنات خالتك؟ هل هذا ما ولد عقلك بعد أن تمخضّ شهرًا؟"

- أردت فقط أن أجعلك متحفزًا لتسمع ما أريد، ولكن من الواضح أنني فشلت.

- لم تفشل حتى الآن، أنا مهتم بما عندك إن كانت معلومات عنه.. إنها عمليتي الوحيدة الغير منتهية.

- أعلم مكانه.

خرجت باندفاع منه، وبخ نفسه على إثرها فاستطرد كأنه يضع شروطًا:

- ولكن يجب أن تنتهي منه سريعًا، في المكان. الذي سأخبرك أنه فيه.. فلنقل أنني أريد الشرطة أن تحقق مع أصحاب ذلك المكان لفترة.

- أين هو؟

- ليس في المكان المراد. سأخبرك عندما يصله. ولا تخبرني أنك لا تخرج إلا بتخطيطك. مصلحتي الوحيدة هي قتله في ذلك المكان، يجب أن تفعلها هناك وإلا لن أخبرك.

❊❊❊❊

الاثنين (السابع والعشرون)

لم يرَ منصور درة في ذلك اليوم، وكلما تحدث معها انتهت المكالمة سريعًا فـ"الزفاف بعد يومين" كما رددت دائمًا. لم يفهم الرابط بين قِصر مكالماتهما واقتراب موعد الزفاف. التمس لها بعض الأعذار من الانشغال بتجهيزات الزواج وما إلى ذلك، وهو يتساءل في أعماقه عن التجهيزات التي تبقيها منشغلة إلى هذا الحد، بعد تبسيط الزفاف لتلك الدرجة. شغله عن تلك الأفكار لبقية اليوم نقل الأثاث الجديد إلى المترل، وحجزه لغرفة فندق ليبيت بها الليلتين القادمتين. فكما أخبروه لا يصح أن يدخل الشقة هذه الفترة لأنها ستكون مكتظة ببنات ونساء العائلتين.

مر ذلك اليوم بسلام.. أو هذا ما ظنه حتى اتصل به ج في منتصف الليل، ليستيقظ في غرفته في الفندق ليأتي صوته الخمسيني الثقيل:

- أعلم أننا اتفقنا أنك ستعلن في الجرائد عندما يعود سليم.. ولكن إعلان الجريدة يأخذ يومين، يومًا في الإعلان وآخر في النشر،

وبذلك قد نتأخر. وبالطبع لن أعطيك وسيلة للتواصل.. لذا سأتصل بك كل اثنتي عشرة ساعة لتعلمني المستجدات.

ثم أغلق الهاتف، لينظر منصور في غيظ إلى شاشته الظاهر عليها أن "الرقم الخاص" قد أغلق الخط.

- إذا لم يقتلك أحدهم يومًا ما، سأفعل أنا.

قالها وآثار النوم في صوته، وعاد إلى نومه.

****

الثلاثاء (الثامن والعشرون)

أيقظه رنين الهاتف مرة أخرى، ولكن هاتفه الخاص هذه المرة، ليرد على درة التي تطمأن عليه وتسأله:

- ماذا سنفعل الآن؟

- سنتزوج قبل أي شيء.

قالها ضاحكًا، يا لاختلاف مزاجه. لو أن شخصًا غيرها أيقظه مجددًا لكان رد فعله مختلفًا تمامًا.

- اتصل بي ج الأمس، وسيتصل بي الساعة الثانية عشرة ظهرًا. سأخبره وقتها أن والدي قد وصل.

- وهل هيأت الطرف الآخر؟

- بالطبع.. الأمر مهيأ وبانتظار أن يبتلع الطعم.

- وفقك الله، لا تخاطر أكثر من اللازم وتذّكر أن زفافنا غدًا.

- لقد كدت أن أنسى ذلك.

أغلقا الهاتف بعد مزيج من المزاح والرومانسية. ليمسك هاتفه الآخر الذي اشتراه ليتحدث منه مع ج. ويطلب رقمًا قد طلبه قريبًا، ليُجري تلك المكالمة المقتضبة:

- أهلًا، سأخبره بأنك جاهز للمقابلة.. أتمنى أن تعلم ما تفعل لأنها فرصتك الأخيرة.

أغلق الهاتف وهو ينتظر.. يعلم أن الثلاثين دقيقة الباقية ستمر بمنتهى البطء. عاندته الساعة كلما نظر فيها لتعلن عن مرور دقيقة أو دقيقتين وكأنها تخادعه. ظل على حالته تلك حتى مرت الثلاثون دقيقة، وانطبق عقربا الساعة رأسيًا عكس اتجاه الجاذبية. مرت سبع دقائق أثقل من سابقاتهن ثم رن هاتفه أخيرًا، ازدرد ريقه مبتلعًا معه تلك الغصة المدببة في حلقه التي نتجت عن إحساسه بالتوتر.. فالمكالمة القادمة التي قد لا تزيد عن ثوانٍ ستتوج أو تضّيع مجهوده ومجهود أبيه من قبله:

- لقد تأخرت مكالمتك.

- بضع دقائق.. لا مشكلة.

- كنت أظنك دقيقًا أكثر من ذلك.

- آسف لتخييب ظنك.. هل عاد؟

- نعم.

قالها بترقب ليلحظ الحماس في صوته:

- وأين هو؟

- سيمكث في فيلا لمدة ثلاثة أيام.. فيلا الضابط عمر عبد المجيد.. ألا تتذكره؟

لم يستمع بعدها منصور سوى لطنين الهاتف لينبهه بأن ج قد أغلق الخط. فأرسل رسالة موجزة لدرة بعدها من الهاتف الآخر: "تم".

❊❊❊❊

الأربعاء (الأول من مارس)

يوم الزفاف...

استيقظ منصور على هاتف من خالته تخبره بأن زملاء الكلية القدامى وصلوا إلى منزله ولم يعلموا أنه في الفندق. يريدون أن يساندوه من بداية اليوم، أخبر خالته أنه في الطريق إلى المنزل، ولم تمر ساعة حتى دخل شارعه.

علم بالطبع أنه سيتزوج اليوم، يعلم ذلك منذ فترة طويلة. ولكنه لم يلحظ أن الأمر بهذه الضخامة إلا الآن. حيث وضّح لأهل درة بأنه يريد إنفاق مال الزفاف والقاعة في شيء أرقى.. سيذهبان بعد أول أسبوع لقضاء العمرة، وستكون بداية مباركة لحياتهما. ساعده في ذلك التزام درة ووالدها وإيمانهما بأن هذه الأموال تُنفق في غير وجهتها، على مقاومة والدة درة وخالته، ولكن في النهاية اتفقوا جميعهم على ذلك.

لذلك اعتقد أن الأمر بسيط، لن يتعـــدى حفـــل الخطوبة الـــذي

أجرياه سابقًا. ولكنه تفاجأ مما رآه في الشارع. دخل ليرى الشارع كله وقد تزيّن بإضاءة الأفراح، التي أقسم له كثيرون أنها لن تُرفع إلا بعد سفرهما. ووجد الشيخ محمد يترأس مجموعة من رجال المنطقة ويجلس أمام منزله على كراسٍ لا يعلم من أتى بها، ويقوم مقام أبيه.. يتلقى المباركات ويرحب بالناس ويُجلسهم، وأيضًا فتح قاعة المناسبات التابعة للمسجد للغداء. ساد الصمت عندما رأى الجميع منصور، ثم بدأ زملاء دراسته بالصياح وتلقفه الشيخ بالأحضان ليوصيه وصايا الزواج، ويحذره بألا يلجأ إليه في أي أزمة لا قدر الله. صعد بعد عناء من أصدقائه وأهل الشارع واعدًا إياهم بالنزول مباشرة، حتى وصل إلى شقته التي منعته خالته من دخولها لأنه فأل سيء.

فهم من خالته بعدها أن الشيخ محمد جمع من البيوت ما تيسر ليقيم الغداء والإضاءة بل والمأذون. استاء منصور من الأمر في البداية، فقد رأى أن هذه صدقة، ولكن خالته أفهمته أنه لن يقيم فرحًا ولن يستقبل هدايا الزواج والنقطة، فلقد جامل جدك الكثيرين وهم الآن يردون ذلك الجميل.

تفاجأ أيضًا بزملاء دراسته الذي لم تربطهم علاقة ولا صداقة قوية، وقد أتوا بعدما علموا من منشوره على الفيس بوك، وقد تطوع أحدهم بأن يزفهم في سيارته.

وبعد إقناع للشيخ محمد الذي عارض أن يُعقد القران في مسجد غير مسجده، إلا أن منصور قد ذكره بأن الأصول تحتم أن يُعقد القران بالقرب من بيت العروس، وقد تفهم الأمر، لذا وجب عليه أن يتجهز قبل المغرب ليحضر عقد القران بكامل حلته. أي أن لديه أقل من ثلاث ساعات كي يذهب للحلاق الذي سيعذبه عندما يعلم أنه يوم زفافه. سيمكث عنده ساعتين كأقل تقدير، ثم يعود ليرتدي بذلته. غاب عن ذهنه كثيرًا أمر ج وعمر، ولكنه ظهر كلما شرد أو أتيحت له الفرصة ليفكر. أزاح الأمر عن تفكيره، فقد فعل ما فعله وانتهى ذلك.. أخبر ج بأن والده في فيلا عمر. وأخبر عمر منتحلًا شخصية والده بأن ج سيزوره. بالطبع تشكك عمر قبل أن يبرهن منصور بالخطاب الذي قرأه عمر على سليم ولا يعلم بأمره سواهما، ومنصور الذي حضر ذلك في المستشفى بالطبع. أيًا كانت النتيجة فلن يمكنه تحقيق ما هو أفضل منها؛ لأنه إذا أراد خروج ج وجب عليه أن يتحمل نفقة عملية قتل، يأخذها مقدمًا.. لذا لم يكن أمامه سوى هذا الحل. قطع تفكيره وقتها رنين هاتفه الوحيد بعدما تخلص من الهاتف الآخر:

- أهلًا بالعروس.. خلال ساعتين سيُعقد القران وأخطفك من منزلك.. لا أعلم ما حدث ولا تحاولي إزعاجي بذلك الآن.. هل تستوعبين ذلك؟ الحلم يتحقق أخيرًا.

تباين صوته في المكالمة ما بين المزاح والجد والبهجة على الترتيب.
كان برنامج اليوم يتمثل في ذهاب منصور إلى المسجد لعقد قرانه بعد صلاة المغرب، ثم يعرج على منزل العروس ليُزفا بالسيارة ويجوبا منطقتيهما، ثم العودة إلى منزل منصور مرة أخرى وانتهاء اليوم بذلك. كانت تجهيزاته بسيطة وتكلفته أبسط.

مرّ البرنامج على ما هو عليه، وصل إلى المسجد وعُقد قرانهما بحضور والدها والمأذون الذي دفع أجره الشيخ محمد. وما إن أعلنهما المأذون زوجين حتى وصلت رسالة إلى هاتف درة: "الآن يمكنني أن أقسم بالطلاق".

وصل منصور في زفة قوامها سبع سيارات إلى منزل العروس ليصعد إليها، انتظر قليلًا بدا له كثيرًا. ظهرت هي من غرفتها متوردة الخدين، تريد أن ترفع عينيها لترى تأثيرها عليه ولكنهما لا تقويان فتعودان للنظر إلى ما تحت قدميها. كانت كما لم يرها منصور من قبل، ليس لفستانها الأبيض الذي بدا متسقًا مع بياض وجهها ووردية خديها، ولا لملامحها التي أضفت مسحة من المسحوق لهما جمالًا جديدًا. ولا لابتسامتها الخجلة. وإنما لنظرة عينيها. فبالرغم من نظرتها إلى الأرض، فإنه استشف منهما سعادة وراحة لم يتبديا من قبل. كان الجمال يشبهها بدرجة كبيرة وليس العكس. أطال النظر إليها ناسيًا

الوقت، ثم تحدث أخيرًا بعد أن عاد إلى حيزي المكان والزمان وقد انتقلت موجة الخجل منها لتظهر منه آثار في صوته:

- ألن نذهب؟

قالها وقد ثنى ذراعه منتظرًا أن تتأبطه، فتأبطته ونزلا.

التفتت خالته لابنتيها:

- لقد شاهدتما لتوكما شيئًا جميلًا.. فلتحفظاه في ذاكرتيكما.

****

على عكس منصور، ارتبطت درة بمواقع التواصل الاجتماعي بصفة عامة، وبـــ"الفيس بوك" بصفة خاصة. لم يترعج من ذلك في المعتاد ولكنه انزعج عندما وجدها قبيل وصولهما إلى المترل مهتمة بالهاتف تاركة إياه يتحدث، كان يظنها لا تجيب خجلًا لكنها لم تكن تسمعه أصلًا. همّ أن يعبر عن ضيقه ولكنها قالت في فرح:

- لقد نجحنا.

أخذ منصور وقتًا حتى استوعب ما قالت:

- هل قبضوا عليه؟

- نعم، الخبر منتشر على الفيس بوك.. سأشرح لك بالتفصيل عندما نصل إلى المترل.

قال بخبث:

- إذا كان لدينا من الوقت ما يسمح.

****

الأربعاء (الأول من مارس)

يوم الزفاف في مكان آخر..

وقف عمر نفس وقفته التي لم تغيرها أربع عشرة سنة ــــ ظهرت تجاعيد قليلة في وجهه تتوقف فجأة عند بداية رأسه الحليق ــــ وسط رجاله من الضباط المتقاعدين ورؤساء أقسام شركة الحراسة؛ ليخبرهم بأن الفيلا هدف لقناص. نبههم لخطته بأن يوزعوا كاميرات مراقبة في نقاط محددة وبذلك سيتركون ثلاث نقاط عمياء من الكاميرات. بالطبع ج سيتخذ واحدة منها مخبئًا له. يجب أن يُوزع القناصون حول تلك النقاط من مناطق بعيدة دون إضاءة.. وليستعملوا أجهزة الرؤية الليلية. كذلك يجب أن يستبدلوا رصاصهم بتلك الحقن المخدرة التي زودهم بها.

بينما أرسل عمر دعوات حفل في مبزله لمعظم أصدقائه ومعارفه والأعضاء البارزين في شركته. ليجعل الأمر مغريًا أكثر، فهذه المنطقة غير مأهولة تقريبًا، ولو تحرك أحدهم فيها سيكون كشفه أصعب بكثير إن أقيم حفل وكثرت حركة السيارات على الطريق.. وبالتالي سيرى ج أن هذه هي فرصته الأمثل لتتخفى سيارته بين سيارات المدعوين.

قضى عمر ساعات في الانتظار..

وبينما دخل منصور منزل العروس ليراها لأول مرة بفستانها الأبيض، أصيب ج بثلاث حقن مخدرة.

وبينما مر منصور بزفته على الكورنيش، كانت سيارة شركة عمر المصفحة تنقل ج إلى المديرية.

وبينما اقترب منصور من منزله لأول مرة مع زوجته، أذاع قسم الدعاية والإعلان في شركة عمر بأن شركته قد قبضت على القاتل ج الذي أرهب الكثيرين لسنوات، معلنةً بلهجة غير رسمية تفوقها على الشرطة وأنها مستعدة لأي إرهابيين أو متطرفين.. وأن الشركة فعلت ذلك لأنه حاول التعدي على أحد عملائها، وسينتهي مصير أي أحد يحاول التعدي بنفس الطريقة.. خاتمةً الإعلان بأرقام هاتفية لمن يريد الحماية أو تأمين بعض ممتلكاته من قِبل الشركة. دفعت الشركة في هذا الإعلان مبلغًا محترمًا وإلا لم يكن ليصل لدرة في سيارة الزفة بعد دقائق من نشره.. لقد انتشر الإعلان على الفيس بوك ووصل الجميع، ووجدته الصحف الإلكترونية مادة جيدة للكتابة قبل أن تُنشر في الجرائد الورقية صباح الغد.

****

وصل عمر إلى الضابط الذي أتى بناءً على اتصاله ومعه ج مقيدًا باحترافية وهو ما زال فاقدًا للوعي. عاتب الضابط عمر في احترام لفارق الرتبة التي كانت بينهما عندما تقاعد على إذاعة خبر القبض علي ج بهذه السرعة قبل المجيء إلى هنا، وقبل التأكد من كونه ج حتى. ورد عمر بأن رجال الدعايا تصرفوا بتلك الطريقة خوفًا من أن تنسب الشرطة الفضل في ذلك لها، ولأغراض إعلانية للشركة.. أخبرتهم أن يمسحوا الإعلان ولكنهم أخبروني بأنه وصل لأكثر من عشرة ملايين شخص حتى تلك اللحظة، وأنه وإن مسحوه فإن الخبر قد انتشر بالفعل.

****

حاز منصور الدنيا في تلك اللحظة؛ اطمأن لماضيه بعدما قُبض على ج، واطمأن لحاضره وهو يرى ابتسامتها أمامه، واطمأن لمستقبله معها. فكّر وهو ينتظرها لتخرج من الغرفة بعدما غيرت ملابسها في كل ما قضاه في السفر، كيف ضحى أبوه بعمره في سبيل ذلك، وكذلك فعل منصور بعده.. ليتفاجأ بها تقطع تخيلاته فيحدثها بخليط من المزاح والخجل:

-هل حددتِ عامًا لنقضي فيه شهر العسل؟

كاشفًا يده عن زجاجة مليئة بالسائل الأسود من تلك الحقيبة التي أخذها من والده في آخر سفر، لتأخذها في غيظ وتلقيها على الكمود، محذرة إياه من لمسها مجددًا.

نَعِمَ منصور بليلته الأولى بجوار إلفه، بينما كانت ليلة ج الأولى في المديرية.

❋❋❋❋

الخميس (الثاني من مارس)

الساعة الحادية عشرة في شقة العروسين..

استيقظ منصور من طرقات الباب والزغاريد من خلفه، ارتدى منامته وهمّ بالخروج لولا أن استيقظت درة فعاد إليها ليطبع قبلة على وجنتها قائلًا:

- صباح الخير، أظن والدتك وخالتي على الباب.

لم يخطىء منصور في تقديره، وجد خالته تحمل صينية كالتي تحملها والدة درة ويتبارزان بالزغاريد، وإن كانت متفوقة عليها. بالطبع لم يسلم من تعليقات خالته والتي تقال في مثل هذا الموقف كل مرة عن تأخره في النوم، وما رأيه في الزواج، وبالطبع لا تُحسب أي زيجة إذا لم يُسأل العريس: "هل رفعت رأسنا؟". يجب أن يُسأل ذلك السؤال بتلك الصيغة، وإلا اضطروا لإعادة مراسم الزواج من البداية.

****

الساعة الحادية عشرة في سرايا النيابة..

يجلس وكيل النيابة في حضور ج الذي اتضح أن اسمه مصطفى عاطف، مهندس مدني ذاع صيته لمدة قبل أن يختفي عن ساحة التشييد في بداية التسعينات. في بضعٍ وخمسين من عمره ولكنه يحتفظ بقامته المنتصبة ونظرته النافذة وشعره الناعم. حليق الوجه بأنفٍ دقيق وذقن مرفوعة لأعلى، مرتديًا نظارة بعدسات مستديرة. باختصار، كان نقيض القاتل المأجور في مخيلة أي منا.

أخذ وكيل النيابة في التحقيق وإبداء التهم الموجهه إليه والتي طالت قائمتها بشكل مبالغ فيه. لم يُبد مصطفى أي اعتراض على التهم المنسوبة إليه.. حسنًا ولم يعترف بها أيضًا.. بل ظل مبتسمًا يرفض الرد أيًا كانت لهجة محدثه، تهديد أو ترغيب، ظل مكتفيًا بابتسامته حتى أمر وكيل النيابة بحضور عمر. حضر عمر وجلس في مقابلة مصطفى الذي زادت ابتسامته عندما رآه. قال عمر في تشفي:

- بعد كل هذه السنوات.. اليوم أنا الفائز.

- لهذه الجولة.

كان المفترض أن يقولها مصطفى في تحدٍ أو غضب ولكنه قالها في هدوء مبتسمًا، وزفر بعدها زفرة طويلة ليستكمل:

- لا أظن الجولات القادمة ستكون بصعوبة الفائتة.

- لا أظن أن هناك جولات قادمة.

قالها عمر خاتمًا كلامه، ولكن نظرة من وكيل النيابة فهم فحواها. لقد بدأ مصطفى بالكلام في حضوره، ويريد منه اعترافًا يدينه. فتحدث عمر مرة أخرى:

- سأخبرك سرًا يا ج أقصد يا مصطفى، سامحني فقد تعودت على الاسم السابق لسنوات. أنا لم أقتل شخصًا في حياتي كلها، لم أجرب هذا الشعور وأريد أن أعرفه.. أنت تعلم أننا سندينك بأي حال، أخبرني ماذا شعرت في أول مرة قتلت فيها وليظل سرًا بيننا.

مال مصطفى في مواجهة عمر واقتربت رأسهما وتواجهت عيناهما حتى قال بابتسامة:

- أول مرة حاولت فيها القتل قُبض عليّ، وها أنا جالس أمامك نتيجة لذلك. في السجن سأجعل أحد القتلة يصف لي وسأصف لك.

❋❋❋❋

الساعة الثانية ظهرًا...

يجلس منصور على أريكته في الصالة محتضنًا بيدٍ درة التي أمالت رأسها إلى كتفه ممسكة بهاتفها، وممسكًا باليد الأخرى جهاز التحكم عن بعد.

" ..كدة برضه يا سونة يا خاين.."

" ..طعم الجبنة الأصلي.."

"..ضيفي اليوم يتزعم أمرًا غريبًا قليلًا.. كل ما سيقول فهو علي مسؤوليته الشخصية.. أهلًا أ/أحمد مصطفى.."

كان ذلك صوت التلفاز ومنصور يتنقل بين القنوات عسى أن يسمع أي أخبار عن ج.

- هل وجدتِ شيئًا؟

- لا، "الفيس بوك" وكأنه نساه في ساعات.

- كالعادة.

قالها في يأس، فشاكسته بحك رأسها برأسه لينساب شعرها على رقبته وأذنه قائلة:

- هل تعلم ماذا فعلنا؟ لقد أنقذنا أناسًا من الموت. الآن هناك من يتنفس لأن ج في محبسه.. اليوم أحييناها، ألم يكن ذلك حلم آل الرحّال؟

****

الساعة الثانية ظهرًا في مكان آخر..

أنهى وكيل النيابة التحقيق وقد أدان مصطفى بالفعل، فلقد قُبض عليه متلبسًا بسلاحه الذي أكد تقرير الطب الشرعي ـــ الذي جاء سريعًا ـــ أنه مطابق لبعض الجرائم. وجهت له النيابة جرائم القتل والشروع في قتل وحيازة سلاح بدون ترخيص وإرسال رسائل تهديد. إذا جاء طالب في ثانوية عامة نوى في مرحلة ما من حياته أن يدرس بكلية الحقوق، يستطيع أن يدينه بالإعدام بعد قراءة أربعة سطور من ملف القضية الذي امتد لصفحات.

خرج مصطفى يتبعه عمر من سرايا النيابة، لم تغب الابتسامة من وجه أي منهما. لحق عمر بمصطفى ليسأله ضاحكًا:

- ماذا الآن؟ ألن تخبرني مزحة الثلاث رجال الذين ذهبوا إلى المتجر؟

رد مصطفى ونظره معلق بأحد المباني العالية أمامه وابتسامته تتجدد:

- للأسف ليس لديّ الوقت.. الجولة الثانية ستبدأ أسرع مما ظننت.

قالها وبحركة استعراضية أخذ نصف خطوة إلى الأمام بقدمه اليسرى وفرد يده اليمنى ــ الغير مُكبلة بالأصفاد مع العسكري المُكلف به ــ مُشيرًا إلى البناية العالية أمامه، فاردًا السبابة والوسطى وضامًا باقي الأصابع مُشكلًا مُسدسًا تخيليًا، وحرك إصبعيه كأنه يطلق النار على شخص فوق تلك البناية.

وعلى إثرها سُمع صوت إطلاق نيران.

****

الساعة الثانية والنصف ظهرًا..

جلس منصور ودرة أمام التلفاز يشاهدان المراسلة وهي تقول بلهجة متسارعة والكاميرا تهتز أمامها:

- أتتنا معلومات عن استشهاد الضابط المتقاعد عمر عبد المجيد ومقتل ج. وقد تولى عمر عبد المجيد التحقيق في قضية القتلة الثلاثة.. الأعسر، والجراح، وج واستطاع القبض على الجراح، بعد أن قتل الأعسر منذ أربع عشرة سنة، والأمس استطاع القبض على ج وهو يحاول اغتياله. رحمَ الله الفقيد ورزق عائلته الصبر والسلوان.

- وهكذا قد قُتل ج الذي أصبح رمزًا للقاتل المأجور الذي لا يُقهر في السنوات الأخيرة وقام على قصته أكثر من عمل سينمائي. شاءت الأقدار أن تجمعهما في لحظة وفاتهما هنا على سلم سرايا النيابة. وأكد شهود عيان أن كلاهما قد أصيب في ركبته ثم أصيب في رأسه في نفس اللحظة تقريبًا.. وهو الأسلوب الذي استعمله ج في الكثير من عملياته.. في انتظار أي معلومات تُدلي بها النيابة عن شخصية ج الحقيقية.

نظر منصور إلى درة في دهشة ليجدها كتمثال حي لأنثى رقيقة جالسة وقد فتحت فمها. نظر إلى التلفاز مرة أخرى وعاد بنظره إليها ليجدها تحاول أن تتكلم، فتتحرك شفتاها بصعوبة ولا تكملا حرفين وتنطبقا.. حتى خرجت منها بصعوبة وهي تنظر في عيني منصور:

- كيف؟

ذهب إلى غرفته في غير وعي، بينما ظلت هي في جمودها. حيث تحولت نظرتها إلى نظرة من قابل الميدوسا فتركته حجرًا. أخذت المفاجأة لون خديها وابتسامتها وتركتها شاحبة.. وكي لا أنسى، بطريقة ما جعلها الشحوب أجمل.

❋❋❋❋

السفر الأخير

سرقت الصدمة منها بضع دقائق قبل أن تفهم ما عزم منصور على فعله، أسرعت إلى الغرفة صارخة فيه بأن ينتظر لتجده قد رفع كوب الماء إلى فمه..

لم يعلما أثر السائل الأخضر في السفر مرة أخرى، في الحقيقة لا أحد يعلم، فعائلة الرحّال منذ القدم وهي لم تستخدم هذا السائل، وبالتالي لا يعلم ما قد يحدث. هل سيجعل عمره يتضاعف بطريقة أسرع أم سيصيبه بأعراض جانبية أخرى أم سيقتله؛ لذلك بدت نظرته لها كنظرة وداع أكثر منها نظرة تحدي.

وصل يوم الثلاثاء.. أي قبل الزفاف بيومين، كان سفره هذه المرة مُحاطًا باللامعلوم فهو لا يعلم عمّ يبحث، ولا يعلم ماذا سيفعل، ولا يعلم إن كان لعودته إلى زمنه سبيل أم أن السائل الأخضر الذي حذره منه أبوه له رأيٌ آخر. ولكن على أي حال سافر منصور، سافر وهو عازم على أن ينهي أسطورة ج تلك أيًا كانت الوسيلة.. لم تسنح له فرصة التفكير في زمنه، فبمجرد رؤية الخبر على التلفاز وجب عليه التحرك قبل أن تمنعه درة.

لذلك بمجرد وصوله بدأ عقله بالتفكير مرة أخرى كما تعود أن يفعل في أسفاره، في البداية هو متأكد من أن من قُبض عليه هو ج.. لا سبيل للتشكيك في ذلك، ولكن من سيقتل ج وعمر بنفس طريقة ج القديمة؟ بل كيف سينفذ عمليتا القتل بتلك السرعة؟

جلس في المسجد تلك الجلسة التي اعتاد عليها في أسفاره. وبدأ بحصر معلوماته التي اكتشف أنها معلومة مفردة، وهي ميعاد قتل ج وعمر أمام النيابة. لذا لم يكن محتارًا في دراسة الخيارات كالعادة ولم يكن عليه سوى الانتظار.. وما أصعب الانتظار!

مرّ اليومان على غير شيء، فقط انتظر في المسجد يومين كاملين، حتى وصل يوم الخميس.. أول أيامه وهو متزوج، إذا ذهب إلى شقته الآن لوجد خالته ووالدة درة يزغردان على الباب بانتظاره أن يفتح لهما، وإذا ذهب إلى سرايا النيابة لوجد عمر في مواجهة ج أمام وكيل النيابة.. آثر الاختيار الثاني وذهب إلى النيابة. وصل منصور وعمر يحاول استدراج ج للاعتراف.

وقف مشدوهًا وهو يرى مصطفى وقد سقط أخيرًا بعدما قضى أبوه أعمارًا في تتبعه، ومن بعده منصور، استنبط من العدسات التي ارتداها مصطفى أن نظره قد ضَعُف مع مرور السنين ولذلك غيرّ

أسلوب قتله واستغنى عن القنص. داهمه الوقت وهو مستغرق في تفاصيل ج. وبعد أن انتبه إلى أن عملية الاغتيال على وشك الحدوث، خرج عدوًا إلى عمارة من العمائر المواجهة التي اختارها بناءً على حدسه بأنها مناسبة لعملية الاغتيال. وصل إلى الطابق الأخير ليجد اثنين جالسين وقد ثُبت أمام كلٍ منهما بندقية حديثة. كلاهما كان رشيقًا طويلًا، ومع ذلك فقد اختلفا اختلافًا يصل إلى التضاد.. فأحدهما أبيض البشرة حليق الرأس ذو ملامح صارمة بعض الشيء.. والثاني أسمر ذو شعر يبدو طويلًا وإن كان مُشكل في نهاية رأسه ككرة صغيرة، وملامحه أطيب من سابقه، تحدث الأسمر في البداية:

- للمرة الأخيرة يا هشام.. هل أنت متأكد أنك تريد ذلك؟

- نعم، لقد طلبت منه ألا يذهب، لقد كان فخًا واضحًا.

- أفهم ما تقصد، لطالما حذرنا من أن نفعل كما فعل الجراح، فبمجرد خروج الجراح في ميعاد حدده له أحدهم في عملية مقتل الأعسر انتهى أمره، وها هو قد قام بنفس الخطأ، ولكن أقصد.. هل أنت مُصرّ على قتله؟

- يجب أن نفعل ذلك كي يفهم عملاؤنا أننا ما زلنا نعمل، وإلا استولى غيرنا على سوق العمل كله.. وعمر كذلك يجب أن ننتقم منه حفاظًا على اسمنا.

- وهل ستعمل مجددًا يا هشام؟ أقصد لماذا نعمل ونحن لدينا من المال ما يكفي للعيش كالملوك.

قالها الأسمر الذي لا نعرف اسمه حتى الآن بترقب منتظرًا رد فعل هشام.

- الأمر أكثر من مجرد مال.. إنه اسم بُنِيَ على مدار سنوات، ويجب أن تكون نهايته بطريقة لائقة أكثر من ذلك.

- وهل سنستطيع العمل بدونه؟

قالها الأسمر مجددًا ليرى منصور في وجهه نظرة الندم بمجرد انتهائه منها، وكما توقع فقد أتى رد فعل هشام عنيفًا:

- وماذا كان؟ لقد كان واجهة التعامل.. فقط ابتكر طريقة التواصل مع العملاء، وكان المسؤول عن عملية التواصل معهم. لقد عاملنا كموظفين عنده لمجرد أنه يضع خطة التحرك والهجوم، ها نحن ننفذ عملية بخطة تحركي وتمركزي أنا.. هل تراه سيكتشف قبل أن نقتله؟

- أرى أنني سأستقيل لأعيش بنصيبي من المال، ولقد أعربت أكثر من مرة بعد أن جمعنا مصطفى أنك تحب العمل منفردًا..

قاطعه هشام بحدة بإشارة من يده مع خروج مصطفى وعمر من سرايا النيابة. استلقيا كلًا أمام بندقيته وقبل أن يضغطا على الزناد كان مصطفى قد ضغط على زناد سلاحه التخيلي ليجيب سؤال هشام السابق. كل ما حدث شهده منصور بل كان بإمكانه أن يرفع أحد البنادق ويقتل أحدهم بها، ولكن فضلًا عن أنه ليس بقاتل، وعن وصية أبيه التي تضمنت أنه بعد أن جعل الجراح يقتل الأعسر فقد قضى الباقي من عمره في الندم، فإنه لا يُجيد التعامل مع البنادق خاصة إذا كانت متطورة بهذا الشكل.

****

فعلى الرغم من أن القنص عادة يحتاج إلى دراسة الموقع جيدًا والتأني وما إلى ذلك من عوامل تجعل الأمر يطول عن وسائل القتل الأخرى، فإنه استطاع قتل ضحيتين في محافظتين مختلفتين في يوم واحد.

****

بينما سار عمر على الزجاج المتهشم إلى أن وقف على الحافة ناظرًا إلى الأفق.. ثم صاح بطريقة هيستيرية: "كيف سبقني؟".

****

بعد دقائق من إجراءات فعلاها بنفس الترتيب كأنه روتين محفوظ، التقط كل منهما فارغي الرصاصتين، ووضعهما في جيبه، فك كل منهما السلاح بنفس الطريقة في نفس المدة.. وخرجا بجوار بعضهما البعض من المبنى يحمل كل منهما حقيبة سلاحه، اتجهوا جميعًا إلى سيارة حديثة من ذلك النوع ذو الصندوق الخلفي. ركب هشام والآخر بجوار بعضهما البعض، بينما تسلق منصور الصندوق وجلس فيه.

اتخذا طريق القاهرة إسكندرية الصحراوي، ومرت نصف ساعة في الطريق، وفجأة خرجا عن الطريق وتوغلا في الصحراء. بضع دقائق أخرى حتى وصلا إلى كوخ خشبي قديم موجود في قلب اللامكان. دلفا إلى الكوخ ليجد منصور كوخًا متهالكًا من الخشب المهترئ، أرضه من رمال الصحراء، وجدرانه آيلة للسقوط، ولولا آخر ما رآه لتوقع أنه مقبرة. كان آخر ما رآه صندوقًا من الزجاج الشفاف يتوسط الكوخ، ترتفع فيه الأموال لأكثر من متر ونصف فوق الأرض. الأسمر مرة أخرى لينتشل منصور من صدمته:

- خسرنا مبلغًا محترمًا من قبل بسبب قوارض تلك الصحراء، لقد كان تصرفًا عبقريًا من مصطفى بأن يأتي بهذا الصندوق ليحفظ فيه المال.

قال الجملة الأخيرة بمرح لا يتناسب مع قاتل مأجور نفذ لتوه عملية قتل، ليرد هشام في حزم:

- احتفظ به إذا أردت.. سنقتسم المال ونفترق.

وبعد أن خلعا سترتيهما ووضعاها في صندوق السيارة، بدأت عملية نقل الأموال. وقد كانت مغلفة على هيئة مكعبات ملفوفة في لدائن بلاستيك شفاف. استغرق الأمر منهما أكثر من ربع ساعة فقط لينقلا المال إلى صندوق السيارة الخلفي.. وكانت الربع ساعة تلك أكثر من كافية ليقوم منصور بحركته.

فبعد أن رجعا إلى السيارة وقد أنهكهما نقل المال وجدا ورقة على زجاج السيارة كتبها منصور.. أمسكها هشام بملامحه الصارمة ليقرأها على الأسمر:

"سعدت بالعمل معكما طوال هذه السنوات.. سعدت أكثر بقتلكما إياي.. لو كنت أنا المدير وأحدكما من قُبض عليه لفعلت مثلما فعلتم.

ولكن لا تظنوا أنكم تخلصتم مني بتلك السهولة، لقد تعبت كثيرًا لأجعل من ج أسطورة.. عملت سنوات عليها وفي النهاية قُتلت في سبيل ذلك. أنا لا أعترض، في الحقيقة أنا راضٍ عن ما أنجزت في

حياتي، ولكن لن أسمح لكما بتضييعه.. أسطورة ج حية الآن، ولكن هل مسيرتها انتهت؟

لا، لم ولن تنتهي. لقد أتممت معظم الطريق وحدي ويتبقى خطوة واحدة، وهي ما سيكمل تلك المسيرة بعدي؟

تلك الأموال التي تقتسمونها، موجودة بسببي أنا.. أنا من تعبت في التخطيط لها.. أنا من أفنيت عمري في جمعها.. أنا ج.. ج هو من عمل عليها.. والآن يجب أن يرثها ج جديد.. المشكلة الوحيدة أن إرث ج لا يليق بنصف ج".

كانت خاتمة الرسالة كفيلة بأن ينظرا لبعضهما البعض في تحفز، كلاهما يزن الأمر.. أسيقتل الآخر أم أنهما سيقتسمان الأموال ويغادران في سلام؟ ليتحدث الأسمر في توتر:

- لا داعي لما تفكر فيه، الأموال تكفي كلًا منا.. لقد مات على أي حال وهذه مجرد رسالة أخيرة منه.. أنت تعلم كيف يفكر، إنه يريد أن يتلاعب بنا.. الأموال تكفينا معًا، وأنا سأعتزل بعدها.. وأيًا من وضع الرسالة هنا فقد غادر الآن ولن يمكنه التدخل.

ختم الأسمر حديثه ناظرًا إلى يد هشام وهي متجهة إلى جذعه ليلتقط سلاحه، ولكن على عكس ما يبدو فقد كـــان هشام حكيمًا وآثر عـــدم استخدام العنف.

الوضع بالنسبة لمنصور كارثي، يجب أن يتقاتلا وإلا سيفترقان الآن ولن يستطيع اقتفاءهما. ولأول مرة تصرف منصور باندفاع وتهور، حيث جذب السلاح الموجود في حزام الأسمر، ورفعه إلى السماء وضغط الزناد. التفت هشام في جزء من الثانية وكانت رصاصته قد سكنت برأس الأسمر.

لقد كررّ ما قام به أبوه منذ أربع عشرة سنة، وتكرر في أذنه سؤال درة: "من يعلم كيف ستتصرف لو مررت بنفس الظروف؟".. واكتشف أنه قد قسا على أبيه عندما اكتشف ما فعله بالجراح والأعسر. فها هو يمر بنفس الظروف فيتخذ نفس القرار.

❋❋❋❋

"هل سمعت مسبقًا عن أثر الفراشة؟ معناه بإيجاز أن كل شيء يسير في سلسلة مغلقة، تفعل شيئًا لا قيمة له، أو تضرب الفراشة بأجنحتها في الهواء، لتنتقل الموجة وتتعاظم إلى أن يحدث زلزالًا في منطقة ما. أو كأن يجوع "جافريلو" فتتعاظم الموجة ويقف ليشتري طعامًا فيمر موكب ولي عهد النمسا بالخطأ بالقرب من مطعمه، ليقوم هو باغتياله

فتتعاظم الموجة أكثر وتنتقم النمسا من صربيا، فتتعاظم الموجة أكثر وأكثر وتقوم الحرب العالمية الأولى. ها أنا ذا الفراشة نفسها، ألقيت بهاتفي في درج المكتب المتداعي في مكتبة جدي ليسقط وأكتشف السائل وتتعاظم الموجة إلى قضائي على أشهر القتلة.. قضيت على الثلاثة كلهم. الأول عمر قبض عليه بتوصية مني، والثاني جعلت الثالث يقتله، أما الثالث فلقد وجدت طريقة التخلص منه الآن".

كان ذلك صوت عقل منصور وهو يقف فوق جثة الأسمر بمواجهة هشام الذي لم يتردد في قتله. نظر منصور إلى عيني هشام مباشرة، وكأن هشام يراه فلقد بادله نفس النظرة.

****

الجمعة (الثالث من مارس)

منصور في الغرفة الآن أمام درة منتظرًا أن يشيب شعره، أو أن يضعُف نظره كما حدث بعد عدة أسفار. ودرة تقف مترقبة وتراه يضع كوب الماء بحرص على الكمود.

حالة من الترقب تُغلف الغرفة، حتى وقف منصور على قدميه وابتسم لها:

- أظنني عرفت ماذا يحدث لمن يشرب السائل الأخضر.

خرجت الكلمات من فمه ثقيلة بطيئة، ولمّا لم ترد عليه استكمل:

- السائل الأخضر حررني من الأثر الجانبي للسفر.. السائل الأخضر قتل تأثير السائل الأسود.. أنا كما أنا.

قالها ببهجة جعلت درة ترتمي في حضنه:

- حمدًا لله على سلامتك.. لقد كدت أن أموت من القلق، لماذا سافرت دون..

وكأنها استوعبت ما ستقول، دفعته إلى الحائط وخرجت من الغرفة.

اعتذر منصور لدرة أكثر من ألف مرة، وأشاحت بوجهها في كل مرة اعتذر فيها.. وكلما حاول تهدئتها ثارت أكثر.. لقد سافر رغمًا عنها.. لقد كسر أحد وعوده لها بعدم السفر.. لقد وضع نفسه في موضع الخطر.. لقد كادت أن تُرمل قبل أن يمرّ عليها الأسبوع الأول في الزواج.

وبعد مئات الوعود، وآلاف جمل الندم، وملايين جمل الاعتذار.. أخيرًا وبعد كل هذا لم تهدأ درة ولو بمقدار قليل حتى، ولم تسامحه، ففي النهاية هي أنثى.

❋❋❋❋

خرجا معًا في اليوم التالي ـــ ولا زالا متخاصمين ـــ واتجها إلى مديرية الشرطة، ليقابلا الرجل الذي وقف ليحييهما.

- الرائد أحمد عبد المجيد.. أهلًا بكما.

- منصور سليم الرحّال، وهذه زوجتي درة الشهاوي.

- أهلًا بكما، كيف أخدمكما؟

تحدث بعدها بأن درة جاءتها رسالة من رقم لا نعرف صاحبه، تخبرها بأن صاحب هذا الرقم قد قُتل، وتخبرها أيضًا بمكان الجثة وبأن شخصًا يُدعى هشام أحمد فاروق هو من قتله، وكذلك أين يمكن إيجاد القاتل. لم يهتم الضابط واعتبرها دعابة إلا إنه أرسل قوة صغيرة إلى مكان الجثة المزعومة ليتحقق من الأمر، وذلك بعد إلحاح من درة والتي أخبرته أنها تخشى أن تظهر لها تلك الجثة في كوابيسها. ضابط الشرطة الجالس أمامها بحاجبيه الموصولين ونظرته النافذة لم يتحرك بناءً على رسالة من شخص يقول أنه قد قُتل وتحرك كي لا تُصاب درة بكابوس.. حقًا الشرطة في خدمة الشعب.

****

في اليوم السابق..

الأول عمر قبض عليه بتوصية مني، والثاني جعلت الثالث يقتله، أما الثالث فلقد وجدت طريقة التخلص منه الآن".

كان ذلك صوت عقل منصور وهو يقف فوق جثة الأسمر وبمواجهة هشام الذي لم يتردد في قتله. نظر منصور إلى عيني هشام مباشرة، وكأن هشام يراه فلقد بادله نفس النظرة.

تحرك منصور بسرعة إلى السترتين المُعلقتين بصندوق السيارة، أخرج الهاتفين وحافظتي النقود. عرف من الحافظة أن هشام اسمه بالكامل "هشام أحمد فاروق" وعرف عنوانه، كذلك استخدم الهاتف من السترة الأخرى في إرسال رسائل إلى أرقام مجهولة يخبرهم فيها باسمه واسم قاتله ومكان جثته وكيف سيجده.. وكان من ضمن العشرة أرقام العشوائية رقم زوجته درة.. ياللصدف.

ركب منصور مع هشام حتى رجع إلى بيته، ولحسن الحظ ما زال يعيش في العنوان المدوّن في البطاقة.. لذلك ستقبض عليه الشرطة هنا، وبذلك تبقى خطوة واحدة. أسدل هشام ستائر منزله، وجلس على كرسي مكتبه وضغط بقدمه مكانًا في الأرض تحت مكتبه يعلمه جيدًا

فظهر فراغًا صغيرًا أسفل كرسي المكتب. قام من كرسيه وبهدوء دفع الكرسي ليسقط إلى الخلف، وكأن الكرسي عندما سقط لمس زرًا آخر، انفتحت فتحة أخرى لتصبحا مدخلًا لسرداب، انزلق هشام، ومن بعده منصور ليراه يضع السلاح بجوار أسلحته ويكدس الأموال التي استغرقت منه ساعة في نقلها من السيارة إلى داخل المنزل ثم إلى السرداب. استغرق منصور هذا الوقت في شيء مختلف، حيث وجد قوائم بضحايا ج، والمبالغ المدفوعة في كل منهم، وجد لبعضهم صورًا.. حتى إنه وجد صورة والده والمبلغ المدفوع فيه ربع مليون جنيه. خرجا بعدها من السرداب أخيرًا وقد أعاد الكرسي إلى مكانه فانغلق نصف الفتحة، ثم جلس على الكرسي وضغط بقدمه في نفس الموضع فانغلق الجزء الباقي.

بعد قليل من التحدث، ناوله الرائد بطاقة وأخبره بأن يتصل به في أي وقت، نظر منصور في البطاقة ليجد الاسم: أحمد عمر عبد المجيد.

- هل لك علاقة بالمرحوم عمر عبد المجيد؟

- إنه والدي.

وإن كان يبدو هينًا فإنه لم يكن كذلك، فدرة ذعرت من تلك المصادفة، ومنصور لم يكن بخير أيضًا.. ولكنه تمالك نفسه على أي حال.

- يبدو أن القضية قد ورثناها.

قالها منصور همسًا، ليستفسر أحمد عما قال:

- أقول أن والدك كان صديقًا لوالدي رحمه الله، ولقد كانت صدمة ما حدث أمام سرايا النيابة.. لن تصدق شكل الصداقة بين والدي ووالدك، لقد كانت من نوع خاص جدًا.

وقف بعدها أحمد بقامته الطويلة التي ورثها عن والده ليودعهما، درة خائفة ومنصور مبتسم كمن رأى صديق قديم.. وغادرا.

❋❋❋❋

الخاتمة

بعد ست سنوات..

دخل منصور المكتبة ليجد درة تجلس فيها تفرز بعض الكتب، فتنحنح قليلًا:

- هل أنتِ مشغولة؟

- في الحقيقة نعم، فلقد سلمتني المكتبة وهي في حالة يرثى لها.. لا أستطيع أن أجد كتابًا واحدًا في مكانه.

ناولها كتابًا وأخبرها بأن هذا الكتاب هو ما طال بحثها عنه. تناولت الكتاب من يده لتجدها رواية بغلاف أنيق مكتوب في منتصفه:

"ومن أحياها"

"منصور سليم الرحّال"

- هذه النسخة الأولى من الرواية، وهي لكِ.

كان رد فعلها مباغتًا حينما تعلقت برقبته مباركة:

- لقد كانوا أغبياء عندما رفضوا نشر تحقيق والدك الصحفي، هذه الرواية ستكون أنجح رواية كُتبت.. هذه الرواية ستُخلد.

- لقد أعلنت عن عشاء لكل موظفي الشركة، ولأن عددهم قد تجاوز الأربعين الآن فإنني حجزت مطعمًا بالكامل الليلة.. ما رأيك أن نذهب مبكرًا قبل الموظفين.

- بالطبع، اليوم عيد بالنسبة لي.. أنت لا تفهم كيف شعرت عندما رفضوا نشر التحقيق.

- لديهم حق في رفضه، التحقيق الصحفي يجب أن يكون واقعيًا، وأنا أقدم لهم تقريرًا فيه سفرٌ بالزمن ومجرم هو في الأصل ثلاثة مجرمين.. لقد أخبروني أنها قصة وليست تقريرًا صحفيًا.. لذا نشرتها كرواية.

****

عاد منصور متبعًا والده إلى الجريدة، ورغم الفوضى وتساؤلات الموظفين، واطمئنانهم عليه وهو يكتفي بابتسامة وترديد "أنا أفضل الآن" متكئًا على عصاه وصل إلى مكتبه. أخرج من المكتب ملفًا كبيرًا

يحتوي علي أكثر من مئتين ورقة على الأقل..

خرج منصور تابعًا والده مرة أخرى.. نظرة على ساعة الحائط وأدرك منصور أنه قد تبقى له اثنتا عشرة ساعة في هذا الزمن. غادرا سويًا وتوقف سليم أمام سلة مهملات في الشارع، وأخذ يقرأ الملف الموجود معه، بدأ يقرأ ويقطع بعض الأوراق ويلقيها في السلة أمامه، ويكتب في البعض الآخر، لقد استهلك ثلاث ساعات من الاثنتي عشرة ساعة المتبقية.

- خرج في البداية إلى أحد أصدقائه الأطباء فضمده وساعده، ثم عاد إلى الجريدة ليأخذ ذلك الملف..

قالها وهو يمسك ملفًا من خلفه:

- هذا الملف فيه كل ما أحكيه لك. كتبه أبوك ليُنشر يومًا ما بعد أن يُقبض على ج ليكون هذا الملف أعظم تحقيق صحفي كُتب في تاريخ الصحافة.

****

قطع عليهما فرحتهما شخصٌ دلف إلى المكتبة:

- السلام عليكم.

نظرت درة بتشكك بينما رحبَ منصور بأحمد عبد المجيد:

- أهلًا بك، كيف حالك؟

- لقد مررت بالشركة اليوم، بالمناسبة أحببت فكرة شركتك جدًا، فكرة العمل الحر على الإنترنت واعتمادك على الشباب في ذلك.. أتمنى لك التوسع في المستقبل.

- شكرًا لك.. قريبًا سندعوك لافتتاح المقر الثاني للشركة.

- إن شاء الله سأحضر.. ولكن الآن أريد منك خدمة.

- بالطبع إذا استطعت المساعدة.

- لقد أخبرتني أن والدك ووالدي رحمهما الله كانا أصدقاء أليس كذلك؟

- بالطبع، لقد كانا صديقين مقربين.

- حسنًا، لقد فتحت خزانة والدي منذ سنتين تقريبًا لأول مرة، ووجدت وصايا وأملاك خارج مصر.. واستغرق الأمر مني سنتين لأحقق كل ما كتب أبي وأبيع الأملاك الخارجية وما إلى

ذلك.. استوقفني في وصيته شيئًا واحدًا وأردت مشورتك فيه. لقد أرفق في وصيته بندًا ينص على: "إذا جاءك ابن الرحّال يسأل عن والده فأرسله إلى الأول من يناير عام ألفين وأربعة".

أخذ منه الورقة، وما إن لمسها وكأنها أدخلته عالمًا سحريًا.. فدار بخلده كيف اكتشف السائل، وكيف أحس في أول مرة يسافر، رأى كل ما رآه في سفره، رأى من قُتل ورأي أباه وهو يُصاب، رأى زجاج واجهة الجريدة يتهشم، ورأى عمر يصرخ في عساكره، رأى جده الذي اتضح أنه أبوه وهو يدمع عندما قابله، رأى نفسه وهو ينحت حائط المكتبة باسم درة، ورأى نفسه وهو شيخ ومهدد بألا يتزوجها، رأى هشام وهو يقتل الأسمر، رأى والده وهو يسأله "هل أنت مستعد؟". رأى كل شيء حتى دمعت عيناه، ثم أخذ شهيقًا طويلًا وأعادها للضابط:

- للأسف لا أفهم معناها، ولكن أيًا كان فلقد تجاوزنا ذلك التاريخ بزمن، لذا أظن أن هذا الجانب من الوصية قد تحقق.. رحمهما الله.

استأذن أحمد وانصرف، ليلتفت منصور إلى درة مغيرًا دفة الحوار:

- هل ستتأخر فريدة اليوم؟

- لا، ستصل حافلة الحضانة الساعة الواحدة ظهرًا.

ألقى نظرةً على روايته وهو يتخيل ما كُتب فيها، ونظرة أخرى على الحائط المقابل له وقد أعيد ترتيب المكتبة بحيث يظهر النقش جليًا، وتذكّر يوم أمسك بيدها ليتلمسا النقش. وانتشلته يد درة من ذكرياته وهي تمسح دمعة حنين خانته، لتخبره بأنها قد جهزت قصة "علاء الدين والمصباح السحري" لتقصها على فريدة اليوم.. وذكرته بسؤالها:

- هل انتهيت من إيداع الأموال؟

- لقد انتهيت من آخر اسم اليوم وأودعت في حساب ورثة لؤي مدحت الستمائة ألف التي تم دفعها مقابل قتله.

****

حيث وجد قوائم بضحايا ج، والمبالغ المدفوعة في كل منهم، وجد لبعضهم صورًا.. حتى إنه وجد صورة والده والمبلغ المدفوع فيه ربع مليون جنيه.

****

انكمشت ملامحها مرة واحد، جعلت منصور يفكر في أي خطأ قد ارتكب، حتى أحس أنه يقف على شيء مرن.. نظر تحت رجله ليجد كتاب "الذين هبطوا من السماء" وقد انثنى تحت قدمه، لتصرخ به درة كي يرفع قدمه وقد اعتلاها الغضب. وبرغم انقضاء أكثر من ست سنوات على زواجهما، ومن قبلها الخطبة، ومن قبلها فترة الارتباط، إلا أن منصور ظل يراها أفروديت كما رآها أول مرة.. وما فعلت شيئًا إلا وجعلها أجمل.. حتى غضبها ذلك جعلها بطريقة ما أجمل.

.. تمت ..

٢/٩/٢٠١٦م

حضرة الضابط.. كيف حالك؟ أود في البداية أن أعتذر عن طريقة إرسالي هذه الرسالة لك. ولكني أرسلتها بالطريقة الوحيدة التي أجيدها. نحن مشتركون في لعبة معًا، لعبة أكثر تعقيدًا مما تبدو. فأنا وأنت وسليم نسعى إلى نفس الهدف، نريد أن نثبت أننا أبرع مما نبدو، أكثر وفاءً لما نتبنى من مبادئ وأعظم أثرًا بين الناس.

ولكن كما قالوا سابقًا.. إذا أردت أن تضحك من الأحدب، فيجب أن تسير منتصبًا. نسير في طريق مُقسم إلى ثلاث حارات متوازية.. لا يُمكن أن تتقاطع سُبلنا ولكننا نسير إلى نفس الهدف. إشباع رغبة ما. سليم يريد إشباع رغبة الانتقام، وأنت تريد إشباع رغبة الفخر وتقدير الذات.. أما أنا فقط أريد إشباع رغبة الشعور بالذكاء والتفوق على الآخرين. الأمر ممتع صدقني، كلما تفوقت عليكما شعرت بتلك.. التي يسمونها النشوة

....

كي لا أطيل عليك.

لعبتنا لها قاعدتان.

الأولى: كلما حاول أحدكم أن يقاطع طريقي ستكون هناك ضحايا. أما الثانية: طالما أنا بالخارج فأنا الفائز.

تصميم: عبدالرحمن حافظ



محمد رجب، يدرس في كلية الهندسة جامعة بني سويف. تُعد إمضاء ميت أولى رواياته (٢٠١٤) وفازت بجائزة إبداع الشارقة. ثم رواية المُنجم (٢٠١٥) والتي من المُقرر تحويلها إلى فيلم سينمائي والأخيرة هي الرحّال (٢٠١٧).



للنشر والتوزيع